

الإمتياز وتربيته

[أقوم المسالك والسبل لنشر ثقافة الإمتياز]

بقلم : لطفي بن عمر جمعة

« ... واليوم كسبنا معركة الكم علينا أن نعمل أكثر وأحسن لنكسب رهان الإمتياز حتى نزيد الإرتقاء بمدروستنا في عاالم كثير التحديات متسارع التغير لا بقاء فيه إلا لمن أحسن التحكم فيما به قوة الأمم : العلوم المعقدة والتكنولوجيا المتقدمة وقيم الحداثة المتجددة ... »

سيادة الرئيس زين العابدين بن علي

من خطاب بتاريخ 7 نوفمبر 1997

يعيش العالم اليوم تحولات عديدة ومتسارعة تتميز بالتقدم التكنولوجي والتطور الرهيب لوسائل الاتصال السريع والتي فرضت نمطاً جديداً يسود العالم اليوم الذي يعيش عصر العولمة والكونية وهو ما يطرح تحديات رهانات كثيرة خاصة أمام الدول الطامحة إلى الارتفاع إلى مصاف الدول المتقدمة في مطلع القرن المقبل ونحن في تونس « ندخل اليوم في عقد جديد تبني فيه جسوراً قوية إلى القرن القادم ونعطي نفساً جديداً لتقدم بلادنا وازدهارها » [1] وهو ما يفرض علينا كسب رهان آخر وهو رهان الإمتياز . فما معنى الإمتياز ؟ وماهي أقوم المسالك والسبل لنشر ثقافة الإمتياز لغاية كسب هذا الرهان ؟

مفاهيم ومعان

1. مفهوم العبقرية

جاء في لسان العرب مادة [عبقر] : هو موضع بالبادية كثير الجن ... ونسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته فقالوا عبقرى [2]

والعبري : الكامل من كل شيء ... والسيد والذي ليس فوقه شيء [3] . أما التعريف الاصطلاحي للعبرية فيختلف اختلاف الاختصاصات العلمية فهي صفة العبري وحاله وهي جملة من المواهب الطبيعية السامية التي تمكن صاحبها من التفوق ولها عند الفلاسفة تعريفات مختلفة فهي عندهم إلهام سريع أو حدس قوي أو صبر طويل أو قوة خلق وإبداع أو قدرة على التحليل والتركيب وإذا أضيفت العبرية إلى الفرد دلت على ما يتصف به من استعدادات طبيعية خاصة [4] .

وفي النصف الثاني من القرن 19 انتشر رأي يقول بأن العبرية جنون حسي و جنون الادراك [5] كما أنها تمزج بنوع من الميتافيزيقا في التفكير الكلاسيكي [6] . وحسب علم النفس التربوي تعرف العبرية بكونها « مجموعة من الاستعدادات الفطرية الحارقة للعادة يختص بها بعض الناس وتزدهم للقيام بنشاطات واكتشافات وإبداعات في مجال من مجالات الحياة العلمية والفكرية كالفنون والعلوم » [7] . كما جاء تعريف العبرية في معجم أكسفورد الانكليزي على أنها « قوة فطرية من غط رفيع كذلك التي تعزى إلى من يعتبرون أعظم المشتغلين في أي فرع من فروع الفن أو التأمل أو التطبيق ، وطاقة فطرية وغير عادية على الابداع التخيلي أو الفكر الأصيل والابتكار أو الإكتشاف » [8] .

2. مفهوم الموهبة

تعني الموهبة لغويا كما جاء في لسان العرب مادة [وهب] الهبة والعطية [9] وهي قدرة وصفة [10] . أما اصطلاحا فهي ميل وقابلية إلى ممارسة نشاط أو مهنة تنطوي على مشال أعلى يكون المرء مستعدا للتضحية من أجله ويكون الطفل موهوبا عندما تتجلى لديه مؤهلات وقدرات خاصة ونادرة [11]

3. مفهوم الإبداع

جاء في لسان العرب مادة [بدع] الشيء يبدعه بدعا وابتدعه : أنشأه وبدأه وبدع الركبة : استنبطها وأحدثها ... والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولا .. والمحدث العجيب والبديع المبدع وأبدعنا الشيء اخترعته لا على مثال (12) . أما تعريف الإبداع الاصطلاحي ففيه خلاف فالإبداع في الفلسفة "إيجاد الشيء من عدم فهو أخص من الخلق ... [وهو] حفظ إدامة وجود الشيء الذي ليس له وجود بذاته

إدامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع" (3) . أما الإبداع حسب علم النفس التربوي فهو " النشاط المفضي إلى إنشاء شيء مادي أو معنوي مستحدث: كما هو الشأن في مجال الإكتشافات العلمية والتقنية أو في حقل الفنون" (14) . أما التعريف الموسوعي للإبداع فيشير إلى أنه "القدرة على استحضار شيء جديد إلى الوجود ويظهر في فعل الأفراد كما تحدث العملية الإبداعية داخل الشخص أو الجماعة ويتباين حدود الإبداع . فقد يكون اختراعا ميكانيكيا أو عملية كيميائية جديدة أو حولا جديدة للمشكلات في الرياضة والعلوم أو تأليف مقطوعة موسيقية أو شعرية أو قصة أو رواية أو شكل جديد في الطباعة أو صياغة نظم دينية أو فلسفية جديدة وقد يكون تجديدا في القانون أو طريقة جديدة في فهم المشكلات الاجتماعية" (15) .

4- مفهوم الإمتياز :

جاء في لسان العرب مادة (مَيَزَ) الميزُ : التمييز بين الأشياء ... وقد أمتاز بعضه من بعض وميزت الشيء أميزه ميّزا : عزلته وفرزته ... ماز الشيء ميّزا وميزة : فصل بعضه من بعض ... وتميَّز القوم وإمتازوا : صاروا في ناحية (16) وفي الفلسفة متميَّز : ما لا يختلط بغيره من أفكار أو أشياء (17) . والامتياز بمعنى آخر هو القدرة على الإبداع والخلق والتفوق وعدم الاكتفاء بالنتائج المقبولة والإرتقاء إلى أعلى الدرجات في سلم الرتب (18) وهو "التسابق نحو أفضل النتائج والعمل المتقن والبحث المتواصل عن تحسين الجودة" (19) . وإيحاء من المعنى اللغوي لكلمة الامتياز ومن طرح هذه المسألة في هذا الطّرف بالذات الذي تصوفيه بلادنا إلى إيجاد أقوم السبل للارتقاء إلى مصاف الدّول المتقدّمة هو سعي لفصلها عن الدّول السّائرة في طريق النموّ وجعلها في ناحية الدّول المتقدّمة لاعتبار الامتياز الوسيلة المثلى الممكنة لدخول القرن القادم والاستفادة من التطوّر التكنولوجي وكذلك من أسباب كسب رهان الانفتاح على الاقتصاد العالمي ومعركة الجودة والمنافسة في الأسواق العالمية .

5- الفرق بين هذه المصطلحات :

انطلاقا من هذه التعريفات المتعددة للعبقريّة والموهبة والابداع والامتياز يمكن

التعرف على الفروق بينها فأول شيء يمكن ملاحظته بالنسبة للعبقريّة والموهبة هو عدم وجود تمييز واضح بينهما⁽²⁰⁾ فكلاهما تتفقان في طبيعتهما من حيث أنهما تمثلان استعدادات فطريّة وطبيعيّة وأنهما قدرات خاصّة ونادرة وغير عاديّة يختصّ بهما بعض الناس وتوفّر لهما للقيام بنشاطات واكتشافات وإبداعات في مجال من مجالات الحياة العلميّة والفكريّة. أمّا الإبداع والامتنياز فهما من الميزات الذاتيّة المرتبطة بشبكة معقّدة من العوامل يمتزج [فيهما] الفطري بالمكتسب كالذكاء والخيال ... وتهدف أغلبية النظريّات [التربويّة] والبيداغوجيّة المعاصرة إلى تطوير مثل هذه المحصول لدى [النّاشئة] ... لأنّها تنمّي لديهم القدرة على تجاوز المعروف المتداول وإبداع الجديد (وتحقيق أفضل النّاتج)⁽²¹⁾، ومن ثمّ فإنّه يمكننا تنمية الإبداع أي تنمية الفكر الإبداعي وصنع الامتنياز وتحقيقه.

الامتياز	الإبداع	الموهبة	العبقريّة	اللفظ
<ul style="list-style-type: none"> - عزاء الشيء أو غيره - استيعاد العلوم في ناحية - التفصيل عن غيره 	<ul style="list-style-type: none"> - الفهم بزيادة الشيء - استيعاد الشيء وأحواله - التصريح بالشيء، لا على مثال 	<ul style="list-style-type: none"> - البنية والعمليّة 	<ul style="list-style-type: none"> - سرّ مخ كسر الحزن 	<ul style="list-style-type: none"> - معنى الشّعر
<ul style="list-style-type: none"> - مثالا يخطب بغيره من الأمتياز - أو المستفاد على الإبداع - والخلق والتفوق - والتفصيل نحو أمثلة - التفصيل والتفصيل - التفصيل البحث التفصيل على - تفصيل الجرد - تفصيل الأكاديمية - بالكتابات الموهبة والألفاظ - إلى أعلى الموهبة أو - سطر الترتيب 	<ul style="list-style-type: none"> - الفهم بزيادة الشيء - استيعاد الشيء وأحواله - التصريح بالشيء، لا على مثال 	<ul style="list-style-type: none"> - البنية والعمليّة 	<ul style="list-style-type: none"> - سرّ مخ كسر الحزن 	<ul style="list-style-type: none"> - معنى الشّعر
<ul style="list-style-type: none"> - لا يمكن صنع الإبداع - يمكن أن يورث العبقري والموهوب أو المبدع بالامتياز - يمكن أن يكون عبقريا أو موهوبا أو مبدعا 	<ul style="list-style-type: none"> - لا يمكن صنع الإبداع - يمكن أن يورث العبقري والموهوب أو المبدع بالامتياز - يمكن أن يكون عبقريا أو موهوبا أو مبدعا 	<ul style="list-style-type: none"> - لا يمكن صنع الموهبة - يمكن أن يورث العبقري والموهوب أو المبدع بالامتياز - يمكن أن يكون عبقريا أو موهوبا أو مبدعا 	<ul style="list-style-type: none"> - لا يمكن صنع العبقريّة - يمكن أن يورث العبقري والموهوب أو المبدع بالامتياز - يمكن أن يكون عبقريا أو موهوبا أو مبدعا 	<ul style="list-style-type: none"> - لا يمكن صنع اللفظ - يمكن أن يورث العبقري والموهوب أو المبدع بالامتياز - يمكن أن يكون عبقريا أو موهوبا أو مبدعا

أسباب الاهتمام بمسألة الامتياز :

بداية من النصف الأول من القرن العشرين بدأ الإهتمام بالإبداع ودراسته "ولقد كان لهذا الإهتمام أسباب كثيرة ذلك بأن الحرب العالمية الثانية استدعت . في جملة ما استدعت . بذل جهود عظيمة للاختراع والتجديد والتحسين في ميادين الحياة المختلفة ولا سيما ما اتصل منها بالحرب ... ثم إن حلول السلام الذي لم يكن سلاما بالمعنى الصحيح للكلمة زجّ بالعالم في حمأة الحرب الباردة التي تطلب جهودا كبيرة في مجال الاختراع والإبداع ومن هنا كان الطلب المتزايد على الأدمغة المخترعة التي لم يتوفر منها قط ما تحتاجه الأمم المشتركة في هذه الحرب الباردة . ثم بدأ عصر الفضاء وتساعد السباق بين العملاقين الكبيرين أمريكا والاتحاد السوفياتي وكانت الصواريخ وكانت الأدمغة الالكترونية وسواها . وكان من جراء ذلك الطلب المتزايد على الأدمغة وتحديد معنى الإبداع ومكوناته وطرانق تكوينه ومن ثم كانت مطالبة الأمم لمربيها ومدارسها بتهيئة أكبر عدد ممكن من المبدعين والمخترعين " (22) .

واليوم ونحن على مشارف القرن 21 نعيش عصرا تتلاحق فيه التطورات والأحداث التي منها "تهيار نظام الاستقطاب الثنائي الذي ساد العلاقات الدولية وبروز ظاهرة تعدد الأقطاب التي ما فتئت تندعم مرتكزة بالخصوص على القوة الاقتصادية والعوامل الدولية والتجارية والمالية ... والتدرج نحو عالم جديد أضفى بمثابة "قرية كونية" بفعل التطورات التكنولوجية الهائلة التي لم نشاهد لها مثيلا في السابق خاصة في مجالي المبادلات والاتصال ... [إذ] ساهمت الابتكارات التكنولوجية والتطور العلمي المذهل في مجالات متنوعة كالنقل والاعلامية والاتصال والبيوتكنولوجيا والعلوم الجينية في نحت معالم الوضع الجديد بما أدخلته من تغييرات في مجال تقنيات الانتاج والتسويق وتوفير المعلومة ومعالجتها واتخاذ القرارات وتطوير الخدمات مما أدى إلى تغيير محتوى وتنوعية الميزات التفاضلية بين البلدان » [23] وكذلك « ايجاد خاصيات للمنافسة الجديدة في القرن المقبل سيكون من أبرز مقومات النجاح فيها اكتساب مهارات أساسية جديدة وابتكار طرق تفكير أساسية جديدة » [24] خاصة بالنسبة للدول الطامحة إلى الارتقاء .

إلى مصاف الدول المتقدمة في مطلع القرن المقبل ولما كفة أنجع للعولة* . من جراً ذلك طرحت اليوم مسألة الامتياز وتحديد معناه ومكوناته وطرائق تكوينه وأقوم السبل لنشر ثقافته ومن ثم كانت مطالبة المؤسسة التربوية بتهيئة المتأثرين التربية للامتياز

دور المؤسسة التربوية في نشر ثقافة الامتياز*

1. أسس التربية للامتياز

*الإصلاح التربوي

إن من أبرز الإصلاحات التي أقدمت عليها تونس الإصلاح التربوي الذي يأخذ في الاعتبار المعطيات الجديدة مراعيًا « تطور مجتمعنا وتنوع حاجياته في ظل ما يشهده العالم من تحولات وما يسجل كل يوم في مختلف حقول المعرفة والبحث العلمي وأساليب التربية والتكوين من تراكم وتحديد وتطورات سريعة متلاحقة » [25] وتم تقنين هذا الإصلاح وتنظيمه باصلاحقانون التعليم الجديد بتاريخ 29 جويلية 1991 يتعلق بالنظام التربوي الذي يهدف إلى « المساعدة على إذكاء الشخصية وتنمية ملكاتها وتكوين الروح النقدي والارادة الفاعلة بحيث ينشأ المتعلمون على التبصر في الحكم والثقة بالنفس في السلوك وروح المبادرة والإبداع في العمل » وإلى « تهيئة الشباب في مختلف المراحل التربوية لمواجهة المستقبل وإعداده إعداداً يمكنه من أن يسير - بعد الدراسة النظامية - التغيرات السريعة التي يشهدها العصر الحديث ومن الاسهام الايجابي فيها » وإلى « تنشئة المتعلمين على حب العمل والتبصر بقيمته الأخلاقية ودوره الفاعل في تكوين الشخصية وغرس الطموح إلى التفوق والإبداع وتحقيق مناعة الوطن والمساهمة في ازدهاره وفي إثراء الحضارة الانسانية » [26]

*تدعيم الإصلاح التربوي

لقد بدأ بالفعل تدعيم الإصلاح التربوي « عن طريق ملاءمة البرامج والمناهج بانتقاء أفضل لمحتراتها خاصة في مستوى التعليم الأساسي قصد جعلها مواكبة لتطور العلوم والمعارف ومستجيبة في نفس الوقت إلى مشاغل البلاد واهتماماتها .. » وتهدف « هذه الملاءمة في التدرج نحو نظام تعليمي أكثر قدرة على تنمية

ملكات التصور والابتكار والنقد لدى التلاميذ » [27] . وقد انطلقت منذ سنة 1996 عملية تخفيف البرامج الدراسية وشملت في مرحلة أولى التعليم الأساسي بمرحلته مع التخفيف في الأثناء من الكتب المدرسية ، وفي مرحلة ثانية تم نفس الشيء بالنسبة لبرامج التعليم الثانوي من دون المساس بجوهر البرامج والمستوى العلمي لمختلف المواد .

* مدرسة الغد

إنّ التحولات الجارية في تونس وفي العالم تستوجب تأهيل المدرسة بل اعداد مدرسة الغد والبدء في تهئية الأرضية المثلى لمثل هذا التطور من خلال ربط المؤسسات الجامعية وهاكل البحث العلمي والمعاهد الثانوية والمدارس الاعدادية والمدارس الابتدائية بشبكة « الانترنت » هذا المشروع الذي دعا إليه سيادة الرئيس زين العابدين بن علي في خطبه بمناسبة الذكرى العاشرة للتحول حيث قال : « ونظرا للدور الذي أصبحت تلعبه شبكات الاتصال الحديثة في تداول المعلومات ومساندة التدريس وتطوير البيداغوجيا والتعليم عن بعد لما يوفره ذلك من تخفيف في الكلفة وتفاذ لبعض الاستثمارات التقليدية تأذن بدراسة هذا الموضوع من مختلف جوانبه من قبل لجنة مختصة لعرضه على استشارة وطنية قبل الشروع في المراحل الأولى من اعداد المخطط العاشر سنة 2000 لوضع تصور واضح المعالم لمدرسة الغد في جميع مستويات التعليم ... وحتى نهيء الأرضية من الآن لمثل هذا التطور ودفعاً لمردودية قطاع التربية والتعليم نأذن اليوم بتعميم الربط بشبكة « الانترنت » على كافة مؤسساتنا الجامعية وهاكل البحث العلمي وعلى المعاهد الثانوية والمدارس الاعدادية على مراحل إلى موفى المخطط الحالي استعدادا لربط المدارس الابتدائية بهذه الشبكة في المرحلة الموالية » [28] وقد تمّ في الآونة الأخيرة تشكيل لجنة تفكير في مدرسة الغد للنظر في ملامح هذه المدرسة سيكون من مشمولاتها مراجعة البرامج التعليمية وتحديث العملية التربوية ككل عبر اندماج الاعلامية في صلب المؤسسات التربوية وربط المعاهد الثانوية بشبكة الانترنت بالاضافة إلى ضبط تصورات بخصوص حسن التصرف والتأطير البيداغوجي ومراجعة مختلف محتويات التعليم ومكوناته [29]

2. أقوم السهل لنشر ثقافة الامتياز

من بين الأسئلة المطروحة اليوم كيف يمكن للمؤسسة التربوية أن تساهم في نشر ثقافة الامتياز ؟ وكيف ستكون مدرسة الغد ؟ لإنجاح هذا الدور الجديد الموكل للمؤسسة التربوية اليوم لابد :

• أن تعتمد المدرسة في عملية التربية حول المشكلات طريقة لتنمية العقل وتصعيد الابداع

• من اناحة المدرسة لأطفال خبرات تربوية خاصة من أجل التدريب على التفكير المبدع أو المهارة في حل المشكلات

• من توليد « روح الابداع » في المدرسة وتبني طريقة في التعليم تجريبية وخلاقة ومفتوحة الأطراف في كل مجال (30)

• من أن يكون الفصل مختبرا للديمقراطية

• من أن يتعلم الطفل كيف يفكر نقديا بدلا من أن يتقبل الأفكار تقبلا أعمى (31)

إن كل هذه العناصر أكد عليها نظام جويلية 1991 التربوي لذا من الضروري التعمق في فهم المبادئ الأساسية الواردة فيه والالتزام بما جاء فيه روحا وممارسة . ومن السبل الكفيلة كذلك لتمكين المؤسسة التربوية من نشر ثقافة الامتياز :

• تطوير المناهج لدفع التلميذ إلى الابتكار والخلق وربط النظري بالتطبيقي .
• مزيد بعث المعاهد النموذجية .

• تدعيم التكوين المستمر للرفع من المستوى العلمي للمربين
• دعم التشجيع الأدبي والمادي لصاحب العمل المتميز مع غرس روح الامتياز لدى التلاميذ

• تعميم الاعلامية وتكوين المربين والتلاميذ فيها
• تطوير مراكز التكوين المهني لتخريج جيل قادر على المنافسة
• إحكام المراقبة البيداغوجية للتعليم الخاص بأنواعه
• إحكام استغلال الفضاءات المحيطة بالمدرسة وتدريب التلاميذ على ممارسة العمل الجمعياتي وتنويع النشاط الثقافي

دعم التنشيط الثقافي في المؤسسات التربوية وربطها مع المؤسسات الاقتصادية للتدريب على تحمل المسؤولية

دعم تفاعل المدرسة مع المحيط وربطها بالأسرة [32]

وصفوة القول فإنّ الامتياز اليوم رهان آخر ينضاف إلى جملة الرهانات التي علينا كسبها لإعتبار أننا « اليوم كسينا معركة الكم علينا أن نعمل أكثر وأحسن نحسب رهان الامتياز » [33] وذلك يستدعي العمل المتواصل في كنف المبادرة المبدعة والتطلع دوماً إلى الامتياز في الإنتاج والإبداع في الخلق والإبداع ... [34] لأن الإمتياز سبيل المثابرين والمجتهدين للإلتحاق بركب الدول المتقدمة والمساهمة في الإبداع الحضاري الانساني والنجاح المشروع المجتمعي الذي بشر به عهد السابع من نوفمبر .

الهوامش

- [1] [28] [33] خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي 7 نوفمبر 1997
[2] [9] [12] [16] ابن منظور ، لسان العرب المحيط ، اعداد وتصنيف : يوسف خياط . دار لسان العرب - بيروت . بدون تاريخ - م 2 ص 671 - م 3 ص 991 . م 1 ص 174 .
175 . م 3 ص 554
[3] محمد فريد وجدي . دائرة المعارف القرن 20 . دار الفكر . بيروت . بدون تاريخ - م 6 ص 139
[4] د . جميل صليبا . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية . دار الكتاب اللبناني . بيروت . لبنان . مكتبة مدرسة بيروت . لبنان 1982 . ج 2 ص 53 . 54
[5] [10] [13] [17] يوسف خياط . معجم المصطلحات العلمية والفنية . دار لسان العرب - بيروت لبنان . بدون تاريخ ص 429 ص 731 ص 56 ص 649
[6] د . سعيد علوش . معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . دار الكتاب اللبناني - بيروت . ط 1 1985 ص 145 [7] [11] [14] [21] عبد الكريم المراق . توفيق الشريف . عبد الكريم العبيدي . جلال الدين سعيد . معجم علم النفس التربوي . منشورات المعهد القومي لعلوم التربية . تونس 1990 ص 128 ص 187 [ص 9 يتصرف]
[8] [20] بنبليوي مري . العبقريّة ترجمة محمد عبد الواحد محمد . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . (أفريل 1996 عدد 208 ص 14 ص 17
[15] د . محسن خضر . « التعليم العربي والإبداع في ثقافة القهر » . مجلة مدارات . جمعية مدارات المعرفة . العدد 1 صيف 1993 ص 95

- [18] وجدي مساعد . النجاح بامتياز واجبتا الوطني في المرحلة القادمة . جريدة الحرية 14 جانفي 1998 ص 16
- [19] [23] [27] الجمهورية التونسية . المخطط التاسع للتنمية (1997 . 2001) م 1 ص 11 ص 3 . 5 ص 31
- [22] [30] د . فاخر عاقل . الابداع رتبته . دار القلم . بيروت . بدون تاريخ ص 14 ص 153
- [24] لسترثارو . « الصراع على القمة » . ترجمة أحمد فؤاد بليغ . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . عدد 204 ديسمبر 1995 ص 385
- * أنظر مقالنا بعنوان « العولة وصيرورة الانخراط في سيورتها » مجلة الالتحاق عدد 81 سبتمبر 1997
- * موضوع الندوة الوطنية الأولى للمربين الذي نظمها التجمع الدستوري تحت عنوان « دور المؤسسة التربوية في نشر ثقافة العمل والامتياز »
- [25] التجمع الدستوري الديمقراطي . « تونس العهد الجديد . انجازات وإفاق » على العهد لمجد تونس ا . 20 مارس 1994 ص 45
- [26] قانون عدد 65 لسنة 1991 مؤرخ في 29 جويلية 1991 يتعلق بنظام التربية [الفصل 10 . 7 . 11] . الرائد الرسمي للجمهورية التونسية عدد 55 . 6 أوت 1991
- [29] جريدة الصباح 17 جانفي 1998 ص 2
- [31] د . فاخر عاقل . أصول علم النفس وتطبيقاته . دارالعلم للطباعة . بيروت . ط 5 جويلية 1981
- [32] جريدة الحرية 16 ديسمبر 1997 . الندوة الوطنية للمربين التي نظمها التجمع الدستوري الديمقراطي [
- [34] جريدة الصباح 24 ديسمبر 1997 ص 1 .



جدلية المنقول والمأصول في المدونة الفارابية

- 2 -

بقلم : أحمد العربي الشرقي

المعارف وفنون تحصيلها وتعليمها :

النظر في مسألة المعرفة نظر محدود بحدين . حد تعلمها وحد تعليمها ، يتحقق الحد الأول باحدى هذه الآليات ، الكسب والإجتهاد أو التلقين والتلقي أو بالوجهين معا . ويتحقق الحد الثاني باحدى هذه الآليات البرهنة والاستدلال أو التلقين أو التلقين والإقناع وإذا كان الحد الثاني يشترط ضرورة الحد الأول إذ من غير الممكن أن يكون معلم العلم فاقدا له كان علينا أن نبحث عن طريقة تحصيل المعارف وحتى لا نخرج عما تم رسمه للبحث سابقا فإننا نتكلم عن المعرفة التي مثلت خاصية المنقول والمعرفة التي مثلت خاص المأصول ، الأولى المعرفة الفلسفية كما حددنا والثانية المعرفة الدينية . وأقصى المعارف في الأولى هو الفيلسوف وأقصى المعارف في الثانية هو النبي .

يتحدّد العقل الفعّال أصل المعرفة الفلسفية ومرجعها كاقصى ما يمكن أن تصله وهي لا تجوز هذه المرتبة من الوصول إلا بعد المرور من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل إلى العقل المستفاد أين يحصل له التواصل المباشر بالصور المفارقة المستخلصة من المحسوس نحوالمعقول فإن بدا العقل بالقوة هيولانيا فإنّ العقل بالفعل تجريدي والعقل المستفاد المتلقي للمعرفة من العقل الفعّال مفارقا ، تنقطع الصور الكامنة فيه عن الحسي لتتحوّل في المجال الصوري المفارق ، فتكون المعرفة ضمن هذه المراحل معرفة « تصاعديّة » تبدأ من لحظة التهيّء لتعقل المحسوس وتجريده إلى المفارقة المنقطعة عنه عندما تكتمل ويكون العقل المنفعل قد أصبح عقلا بالفعل بتوسط العقل المستفاد . إنّ حيازة المعرفة لدى الفيلسوف لا تجعله منقطعاً إليها دون توظيفها بل الغاية من العلوم إدراكه على الوجه المطلق لتوظيفه على وجهه الأكمل . فإذا كان الفيلسوف يحوز أقصى المعرفة وأرفعها فانه يجوز

أرفع الوظائف وأتمها بل لعلّ هذه تشترط تلك . وتلك لا تتم إلا بهذه . وما الوظيفة هاهنا إلا وظيفة الرئاسة والرئاسة الفلسفية كاحدى الرئاسات قائمة على علم الكليات النظرية والكليات العملية تمّ بثّها في أهل المدينة حتى تحصل منها الإعتقادات السليمة والسلوكات القويمة فتكون المدينة الفاضلة بذلك قائمة على سداد الرأي وقوام السلوك . ولما كان المنهج « التصاعدي » هو منهج التحصيل فإنّ المنهج « التنازلي » هو منهج التعليم . كما توجد طريقة في تعلم الحقيقة توجد طريقة في تعليمها للخواص من أهل المدينة وللعوام منها . لذلك أدرك الفارابي أن هذه القدرة التعليمية خاصة من الخصائص الوظيفية للرئاسة . فإن يكون الرئيس جيد اللسان ليس إلا لتبليغ المعقول إلى أهل المدينة وتقريبها فيكون معقوله مبثوثا في المدينة . وحد أسوارها حد تعلقه وبوابة المدينة تصلها بالمدن الفاضلة ثمانلا فتكون الوحدة . وعقل الفيلسوف بوابة تصلها بالعقل الفعال فيكون الحق وبالتماثل الأول يحصل التعاون الموجه بالتماثل الثاني فتتحقق السعادة . » وذلك أن الذي يبين هذه في علم واضع النوايس بصيرة يقينية والتي تكمن في نفوس الجمهور متخيل وإقناع على أنّ واضع النوايس يتخيّل أيضا هذه الأشياء . وليست المتخيلات له ولا المقنعات فيه بل يقينية له وهو الذي اخترع المتخيلات والمقنعات لا ليتمكن بها تلك الأشياء . في نفسه على أنها ملكة له وعلى أنها متخيل وإقناع لغيره ويقين له وعلى أنها ملّة له هو وفلسفة . فهذه هي الفلسفة بالحقيقة والفيلسوف بالحقيقة « (20) » إنّ المعرفة العقلية كما ترد لدى الفارابي ليست إلا معرفة تدرجيّة تدرك فيها النفس الكليات الثابتة وهي إذ تدرك هذه الكليات بذاتها لقدرة فيها على الانتقال من العقل الهولاني إلى العقل بالفعل إلى العقل المستفاد ومتى وصلت إلى هذه المرتبة لا يبقى بينها وبين العقل الفعال أي واسطة لذلك كانت هذه المعرفة يقينية لا بداخلها الشك ولا يمكن أن تتعرض إلى الريبة . وتلك مواصفات العقل الفلسفي كمعقول عقلي قائم فيه . به . داخله . هذه الرتبة للمعرفة والقدرة التحصيلية التي يحوزها الفيلسوف تختلف عن مرتبة أهل الملّة وموجودي المدينة وهو ما يلزم عنه إختلاف آليات المعرفة التي تتماشى وهذه المراتب والفيلسوف مطالب في ذلك باختيار الآليات التي يبلغ بها المعقول وفق

المراتب المحددة لواحد ، واحد ، فلكل مرتبة ما به تبلغ فتتحدد الحقيقة كلية يقينية ،
واحدة جوهرية بالفعل لدى الفيلسوف تعلم جزئيا ، محاكاة تخيلية لأهل المدينة .
إن هذا التحليل السابق يخلص بنا إلى :

أ . العقل الفعال مصدر الحقيقة الفلسفية وهي بذلك الحقيقة على الإطلاق .

ب . المعرفة الفلسفية محصلة تحصيل . جهد ذاتي . وهو ما يؤكد على قيمة الرغبة
التحصيلية داخلها .

ج . التعليم الفلسفي يقتضى الإستعانة بآليات إقناعية من خارج اليقينية الفلسفية

هذا فيما يخص الفيلسوف أما فيما يخص النبي فإن معرفته تكون عن طريق
القوة الخيالية هذه القوة التي تمكنه من الإتصال بالعقل الفعال الذي يفيض عليها
بالمعارف . والإتصال الممكن قد يحصل في حالة البقطة كما يحصل في حالة النوم
وإن كانت حالة البقطة هي الغالبة على وضع النبوة ، هذه الإنفاضة التي يفيضها
العقل الفعال على المخيلة هي أساس المعلوم لدى النبي ومبلغ علمه ، هذا المعلوم
يسعى في مرحلة ثانية إلى تعليقه لأهل المدينة ويتم ذلك بطرق الإقناع وتقريب
الصور وضرب الأمثلة حتى تسهل مهام التقبل لدى الجمهور وهو في كل ذلك يختار
ما يتلاءم مع مرتبة مرتبة ومع فردا فردا ، حتى يكون لكل مرتبة ولكل فرد طرق
من الإقناع وتقديم الحقائق التي فاضت عليه من العقل الفعال ، يخلص بنا هذا
التحديد إلى نتيجتين :

أ . العقل الفعال هو مصدر الحقيقة التي تفيضها المخيلة وهي بذلك تستمد الحقيقة
من الحق على الإطلاق .

ب . المعرفة النبوية التخيلية لم تحصل بالتحصيل وإنما بهبة « فكان هذا
الإنسان هو الذي يوحى إليه » [21]

ج . التعليم يقتضى الإستعانة بآليات إقناعية هي من صميم الإقناع الخيالي .

إن مقارنة مسألة المعرفة بين حدي المنقول والمأصول بالأقصى فيهما [النبي /
الفيلسوف] لا يتعمق لنا فهمه إلا بتجديد التواصل مع الفارابي فكل « تعليم هو
يلتزم بشيئين بتفهم ذلك الشيء الذي يتعلم وإقامة معناه في النفس ثم إيقاع

التصديق بما فهم وأقيم معناه في النفس . وتفهم الشيء على ضربين ، أحدهما أن تعقل ذاته والثاني بأن يتخيل بمثاله الذي يحاكيه وإيقاع التصديق يكون بطريقتين ، إما بطريق البرهان وإما بطريق الإقناع » [22] .

يبدو المسألة المعرفية وفق هذا التحديد مزيدة لما سبق وأن أشرنا إليه وتأتي موضحة أكثر لطرق التعلم وطرق التعليم والحال أن الغاية والمطلب التوصل إلى الحقيقة فندركها ثم نعمل على تلقيها وتعليمها حيث تتحدد « حقيقة الشيء هي الوجود الذي يخصه » [23] وما يختص به الوجود قد يكون كلياً وقد يكون جزئياً والكلي هو ما تدركه الفلسفة وإن كانت لا تهمل الجزئيات والجزئيات هي ما تدركها المخيلة وإن كانت لا تحوز إدراك الكليات .

يقول الفارابي : « يكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل الفعال ، يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم إلى قوته المتخيلة فيكون ما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ، ومتعقلاً على التمام وما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبياً منذراً بما سيكون ومخبراً بما هو الآن من الجزئيات » [24]

إن هذا التوضيح يمسق لدينا إستخلاص مقاومة بين النتيجة السالفتين تحديداً لما يجمع بينهما وما يفرقهما .
أ . العقل الفعال مصدر الحقيقة هو الجامع للمعرفتين .

ب . الطرق الإقناعية التي بها يقنع الجمهور هي ما يجمعهما كذلك .
هذا الإلقاء لا يخفي علينا الاختلاف فالعقل الفعال وإن مثل مصدر الحقيقة فكلا المعرفتين لا يغيب طبيعة المتلقي وإمكاناته ، فالمخيلة في التحديد المعرفي الذي قدمه لها الفارابي لا تتساوى والقوة الناطقة ، فإذا كان للمخيلة راضع فإن العاقلة لا يوجد لديها راضع وليس لها خدم متنوعها بل هي رئيسة على المتخيلة وعلى الحاسة وعلى النزوعية والغاذية ... أي أنها رئيسة سائر القوى . وهل هناك أرفع من رتبة الرئاسة شرفاً ؟ .

بهذا يكون الفارابي منسجماً مع المقدمة التي سلم بها بدءاً ، ذلك الموقف الخاص بالمتقول في حده الفلسفي أين اعتبرت الفلسفة المعرفة الحققة فكان تقريره

للمأصول في مجال المعرفة (الدين في حد النبوة) تقريبا أراد أن يكون معاندا فما استطاع إلى ذلك سبيلا لأن المعاندة لا تكون ممكنة في مقدمة مؤسسة على التفاضل فكان نجاحه نجاحا في فرض التجاور دون إلغاء التفاضل .
في تحديد التفلسف ومراتبه :

النظر في التفلسف هو نظر في المعارف لإدراك الحقيقي منها حقيقة وتحديد المعارف به الملم بكلياته . والملم الفعلي بهذا العلم هو الفيلسوف ذاك الذي عرّفه الفارابي : « والفيلسوف الكامل على الإطلاق هو أن تحصل له العلوم النظرية لتكون له قوة على استعمالها في كل من سواها بالوجه الممكن فيه » (25) . هذه العلوم النظرية التي سبق وأن حددنا طرق تحصيلها تكون مدعومة بفاعلية العمل فحيازتها تجعل الفيلسوف الحق مطالب بتليغها لأهل المدينة وبشها كي تنفذ إلى أهل الملة فليس هناك من نظر منفصل عن عمل وليس من عمل ممكن بمعزل عن نظر : « وإذا تامل أمر الفيلسوف على الإطلاق لم يكن بينه وبين الرئيس الأول فرق وذلك أن الذي له القوة على إيجادها معقولة وعلى إيجاد الإرادة منها بالفعل وكلما كانت قوته على هذه أعظم كانت أكمل فلسفة فيكون الكامل على الإطلاق هو الذي حصلت له الفضائل النظرية أولا ثم العملية ببصيرة يقينية ثم أن تكون له قدرة على إيجادها جميعا في الأمم والمدن بالوجه والمقدار الممكنين في كل واحد منهم » (26) .

إن فيلسوفا هكذا تكون صفاته . يجوز بالنظر المعقولات الكلية ويجعلها بالقوة العملية مبثوثة في أهل الملة ، فيكون تحدد عالم الحقيقة على وجهه الأكمل . وجعل العلوم يحصل على وجهه الأتم . فاذا هو حائز لأسمى فضيلتين :
فضيلة النظر
فضيلة العمل

ليجعل القوة الناطقة تعقل المعقول فيحصل تحديد الكليات وإدراكها ويجعل من القوة ذاتها فعلا للمعقول فتحصل الممارسة وتعليمها ولا داعي هنا للتذكير بأهمية المنقول الذي يمارس فعله في هذا الإطار . فالفلسفة هي أسمى العلوم بما هي علم الموجود من حيث هو موجود وذلك ما أكدّه المعلم الأول والجندل الصاعد هو

الممكن من تعقل المعقول وهو ما أكدته معلمه كما يكون الجدل النازل تعليم المتعقل كي يكون معلوما لدى الآخرين . والعودة إلى « أمثولة الكهف » تكفي الطالب حجة ، لإدراك التماثل لاسيما وأن الفارابي قد دفع التعارض بين أفلاطون وأرسطو فجعلهما متفقين إلا عند من يدرك التفلسف الحق .

وتناقضا مع هذه الفلسفة الحققة توجد فلسفات أخرى لا ترقى إلى هذه المرتبة ولا تحوزها وهي : « الفلسفة البتراء والفيلسوف الزور والفيلسوف البهرج والفيلسوف الباطل » [27] .

وكل هذه الفلسفات لا ترقى إلى مستوى الفلسفة الحققة ، إنما لضعف استعداد المتعلم أو حيازة للنظري وإخلالا بالعمل فيقع الإخلال بالقوة العملية التي تسند القوة النظرية وتكملها . ومن خلال كل هذا نستنتج :

أ . المحافظة على مقدمة الحقيقة الفلسفية الحقيقة الأكمل .

ب . إستدعاء المعلم الأول ومعلمه دون تعارض .

ج . عدم الإعتماد على المأصول في آلية التحصيل والتعليم أو في الفصل بين الفلسفة الأخرى وينشأ عن ذلك

أ . استقلالية حد المنقول عن حد المأصول والمحافظة عليه .

ب . لا يتقوم المنقول إلا بألياته المحددة لبنيته .

النظر في المسألة العملية :

إذا كان النظر قد انتهى بنا إلى النتائج التي سبق تأكيدها تأكيداً برهانياً إستدلالياً فإن النظر لدى الفارابي غير منفصل عن العمل حيث لا يتم إلا به فالنظر بداية والعمل غاية ، النظر تفكير وتأمل تعقل وبناء لمفهوم والعمل ممارسة وفعل في الواقع المدني . والتشام النظر بالعمل وتوافقهما هو ما يؤدي فعلاً إلى السعادة الحققة . وليس النقد الموجه إلى الفلسفات « الظنية » تلك التي يظن بها أنها فلسفة إلا نقداً في مجالات إغراضها عن العمل أو عدم التشام الملكتين (النظرية والعملية) فليس النظر في مجال الذات فعلاً مجرداً يكون فيه الفيلسوف منفصلاً عن ممارسته بل إن النظر له أرضية الممارسة الفعلية وليست هذه الممارسة إلا ممارسة فعل التفلسف ذاته (وأفعال التعقل) والانقطاع عن الفعل

إنقطاع عن التعقل فالذاتية المتعلقة تجعل من النظر إقامة في العمل غير منقطع عنه ذلك ما يدعو إلى تجاوز كل التنظيرات الاستقصائية التي تلحق بالفارابي صفات « التعالوية فليست تلك المقولات في حاجة إلى الدحض فبيان تهاافتها قائم في بنيتها . كما أننا لا نقبل التأويل الذي ينطلق من مسلمة « الواقعية » فيختزل جهد المعلم الثاني في مجال الممارسة ويهتدي بدون مقدمات علمية صارمة إلى الإقرار بأن السياسي هو المحرك للعمل » [28] وما النظري إلا خادم لهذا البعد الذي يظل بمثابة المحرك الأول لجهد الفيلسوف . إن مثل هذه الاستنتاجات التي تتعجل النتائج وفي أغلب الأحيان تنطلق منها كمسلمات ليكون اللاحق من عمل تأكيداً على المسلم لا تحتكم هذه المواقف الإنفعالية إلى أي شروط منهجية . ولا تزال عاجزة على التعامل مع النص الفلسفي دون مسلمات ، فلندع هذه العقول المحبة للكسل المولعة بالمحاكاة الفردية تخلصاً من سلبيتها حتى نضمن التعامل مع النص كي تكون النتائج مستخلصة إستخلاصاً دون آداء الإطلاعية في كل ما نستخلصه ، وكل نتيجة بدورها تكون إنفتاحاً يمكننا إيجاد إمكاناته على إمكانات التأويل .

العمل أو القوة العملية ، الفعل ، الممارسة أحد حدي التفلسف يطلبه المتفلسف إذ عليه يدور العمل وإليه ترجع الغايات ، ينهنا الفارابي بدوره إلى هذا الأمر . وكي ندرك هذا الفعل كتجلي عياننا نذهب إلى حده الأقصى في الممارسة المدنية . عندما يكون الفيلسوف الناظر بحف المكتمل في مجال النظر عاملاً بحق موعلاً في مجال العمل وهو ماتؤكد علاقته بالمدينة الفاضلة .

مهمة الفيلسوف / الإمام داخل المدينة :

يفرق الفارابي بين اجتماعات كاملة واجتماعات غير كاملة فتتحدد الكاملة ثلاثة [عظمى ، وسطى ، صغرى] وغير كاملة [اجتماع أهل القرية ، اجتماع أهل المحلة ، اجتماع في سكة ، اجتماع في منزل] . المدينة هي الاجتماع الأصغر الذي ينال الخير الأفضل ومادونها من اجتماعات لا يمكن أن يكون منتجاً للخير الذي يطلب من الاجتماع والسعادة التي هي غايته ، هذه السعادة التي يقع تحصيلها إنما تقع بوسائل وتتم عبر وسائط ، والفيلسوف له

من الأهمية ومن الوظيفة ما يجعله المؤول دون غيره كي يقود المدينة إلى السعادة .
 حيازته لهذه الوظيفة هو أنه قد علم العلم وأدركه وقد علم طرق تعليمه ، والاجتماع
 الذي يحقق السعادة هو ذلك الذي أصبحت الحقائق في مجاله واضحة علما وعملا .
 والفيلسوف هو الجوال بين العلم والعمل مقربا للمعلوم تقريبا برهانيا تخييليا حسب
 جبلة الأفراد وقواهم العقلية . بهذه المقدمات يحوز الفيلسوف مرتبة الرئاسة وهي
 مرتبة لا تكون فوقها مراتب أخرى ، فهو الذي يرأس ولا يرأس إنه الرئيس الأول :
 « صار الفيلسوف على الإطلاق هو الرئيس الأول » [29] إن هذه الوظيفة التي
 يحوزها الفيلسوف تتماثل مع المهمة التي يحوزها الإمام أو واضع النواميس ،
 وهذا التماثل يصل به الفارابي إلى حد التماثل فلا يكون الاختلاف بذلك إلا
 اختلافًا إسميًا : « فان معنى الإمام والفيلسوف وواضع النواميس معنى واحد إلا
 أن الفيلسوف يدل منه على الفضيلة النظرية ، أما الإمام فأنما يدل على من يؤتم به
 ويتقبل وهو إما المتقبل كلامه أو المتقبل غرضه ويظل في حاجة إلى القوم النظرية
 والفضائل الفكرية حتى يحصل له ذلك وليس يمكن ذلك دون العلوم النظرية ودون
 الفضائل الفكرية التي هي أعظمها قوة دون سائر تلك الأشياء التي تكون في
 الفيلسوف » [30]

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إن هذه المقدمات التي بوردها الفارابي في المهمة التي توكل للرئيس سواء أكان
 فيلسوفًا أو نبيًا [إمامًا] إنما تؤكد على ثبات زاوية النظر الفارابية والمسلمات
 التي اعتبرها هذا الفيلسوف مبرهنات يتأسس عليها ومن خلالها القول وهو ما يؤكد
 من جديد تكامل المشروع الذي يجمع حدي التفلسف [النظر والعمل] . ودون
 الدخول في جدل عقيب عمن يؤسس الآخر فإن هذه القناعة لا تترك مجالًا للشك
 بأهمية العمل كمطلب يطلبه المتفلسف من جهده النظري حتى إذا استقام النظري
 واشتد بنيانه وحصل العملي وترجمت أفعاله ممارسات متعينة حية كان الانسجام
 المؤدي إلى قوام العمران . أمّا متى وقع الخلل بين الحدين وتسرب الإضطراب إليهما
 أو إلى كليهما كان « خراب العمران » امخل باجتماعية الإنسان .

إن النظر في المسألة العملية لن يكون بعيدا عن المقدمات التي إنطلق منها
 الفارابي فوظيفة الرئاسة وإن بدت محتوية على التطبيق الذي يؤكد المؤلف بين

الإمام من ناحية والفيلسوف من ناحية أخرى غير أن هذا التطابق لا يغفل علينا التفاضل إذ الفيلسوف رئيس المدينة يظل حائزاً للقوة التي تدعم هذا التفاضل وهي القوة النظرية التي لا تتعداه إلى سواء وذلك تفاضله يستمد من الطريقة التي يتلقى بها المعلوم ويبلغه إذ هي طريقة البرهان تقبلاً وتعلماً .

أما الإمام فإن وسيلته في التقبل هي المخيلة وأدواته التعليمية تستمد منها فيكون إقناعه قائم على التخييل وأناى للتخييل أن يبلغ البرهان أو يزاحمه . ويخلص بنا هذا الموقف بالنتائج التالية :

ـ أ . رئاسة الفلسفة تتماثل ورئاسة الإمامة شكلياً وتختلف عنها مضمونياً .

ـ ب . في حالة وجود الرئاستين تكون للفلسفة أولوية الرئاسة ما دامت أشرف .

وعن هاتين المقدمتين تنشأ نتائج أخرى :

ـ آ . تعدد أنواع الرئاسات لا يلغى شرفية رئاسة الفيلسوف .

ـ با . تعدد طرق التعليم داخل المدينة لا يلغى شرفية القوة النظرية .

فتكون بذلك رئاسة الفيلسوف أشرف الرئاسات على الإطلاق وتكون طريقة تعليمه للآخرين وسبل جعل المعقول متاحاً لديهم أشرف الطرق على الإطلاق وهو ما يجعل الفارابي وإن عمل على تقريب المنقول من المأصول بحثاً عن التماثل لا يصل إلى التطابق لأن التماثل تظل تحكمه شرفية التفاضل التي أثبتناها مسلمة أولوية لدى المعلم الثاني الذي سبق وأن سلم بحكمة أفلاطون التي لا تضاهيها إلا حكمة أرسطو واعترافه بذلك وتأكيد عليه في مجالات النظر هو ما يشرع لهذه النتائج في مجالات العمل .

في تحديد أنواع الاجتماع :

النظر في المسألة المدنية يتداخل لدى الفارابي مع مجالات نظر أخرى وهو لا يعد إستثناء . لديه لأنه تقليد درج عليه أغلب الفلاسفة ذلك أن موضوع المدينة يقتضيه إذ لا يمكن أن نؤسس لمشروع مدني ونحن نجعل الدلالات النفسية الاجتماعية ، الأخلاقية أو الوجودية للمجموعات والأفراد وكل نظر يقوم بمعزل عن هذه المقومات إما يقع في التعالوية أو في ضرب من السطحية . وحتى تتحدد دلالات الاجتماع يفصل الفارابي بين ضربين من الاجتماعات :

الأولى كاملة: وكمالها بمعنى إمكان تحقق السعادة داخلها وهي تنقسم إلى ثلاث :

- عظمى : إجتماع المعمورة

- وسطى : أمة

- صغرى : أهل المدينة

الثانية غير كاملة: ونقصانها بمعنى لا يمكن للسعادة أن تتحقق داخلها وهي تنقسم إلى أربعة :

- إجتماع أهل القرية

- إجتماع أهل المحلة

- إجتماع في سكة

- إجتماع في منزل .

هذه الإجتماعات غير الكاملة تمثل جزئيات مكوّنة « المحلة والقرية هما جميعا لأهل المدينة إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة والمحلة للمدينة على أنها جزؤها . والسكة جزء من المحلة والمنزل جزئ السكة والمدينة جزء مسكن أمة والأمة جزء أهل المعمورة » [31-1] .

والسعادة بماهي مطلب الإجتماع لا تتحقق إلا بالتعاون لذلك يجد هذا المفهوم أهميته لدى الفارابي فيطلب في الحديث عن التناسب الذي يدعمه تأكيدا على أهميته وكونه مبدءا أنطولوجيا يمتد عمقه إلى هناك .

إن التعاون القائم بين مجموعة الأفراد هو تعاون لا يخل بالوظيفة التي يؤديها كل مجتمع حسب ما أهل له بالفطرة واكتسبه بالإرادة . فالوظائف تكون حيازتها إما بالفطرة أوالاكتساب والإدارة ولن يبلغ الإجتماع الغاية المنشودة من ورائه إلا إذا كان التراتب بين المجموعة فردا فردا تراتبا لا يخل بالغاية المرجوة من وراء هذا الإجتماع .

هذا التقسيم ومحدداته نجد له صدى في المدونة الأفلاطونية ونخص بالذكر منها الجمهورية ونجد له صدى ثان في المدونة الأرسطية وخاصة من « السياسة » ولا بعد هذا تراجعنا من الفارابي أو نوعا من التناقض والاضطراب بقدر ماهو إنسجام محكم يؤكد الترابط العضوي داخل مدونته وانسجام آرائه مع مقدماته .

فالرجل كما أسلف وأن أكدنا سلم بأن الفلسفة حائزة الحق المطلق وحدّها أفلاطون وأرسطو وإذا كان من الضروري الاسترشاد بهما في مجالات النظر فإنه لا مانع أن نحذو الحذو بالحذو عن مجالات العمل فبنتهي الرأي إلى هذه النتائج

أ - من كانت له الريادة من مجالات النظر تكون له نفس الريادة في مجالات العمل

ب - لا يمكن تأسيس النظري بمعزل عن العمل ولا العملي ممكن بدون نظر فالنظر ، بل عمل فاقد للدليل والعملي بلا نظر فاقد لمرشد وعن هذه المقدمات تنشأ نتائج

آ - الفلسفة بحثا نظرياً مستقلاً

با - الفيلسوف لا ينحصر مطلبه في التجريد الخالص

جا - السعادة المطلقة فرديا تكون للفلاسفة والسعادة المطلقة جماعيا تكون بحكم الفلاسفة .

الختاتمة:

تنتهي هذه القراءة المختصرة لمُدونة الفارابي إلى مجموعة من النتائج لم تسقط إسقاطا تعسفيا على هذه المدونة ، بل قادت إليها استخلاصات المتابعة التي لا تدعى لنفسها الإطلاعية ولا تحوزها حتى وإن دعت هي ذلك ، ومجموعة النتائج المستخلصة يمكن جمعها وفق حدين اثنين :

واحدة تخص مجالات النظر ، والآخرى تخص مجالات العمل

تحددت الأولى كالآتي

- إن الفلسفة هي العلم المطلق وهو مصدر شرف المنقول

- إطلاعية الفلسفة هذه تحوزها بالبرهنة إستدلالية وبالأقدمية زمانا ذلك ما يجعل الشريعة

- علم جزئي وهي كعلم لا تخص المأصول

- جزئية الشريعة تتحدد من حيث التخييل وسيلتها المعرفية ومن حيث الحدوث حضورها الزماني .

هذه المقدمات النظرية سوف تحدد النتائج العملية الحذ الثاني في المبحث

- الفيلسوف صاحب العلم الكلي أحق بالرئاسة وهو يحوزها لانتتمائه للعلم المطلق والحق المطلق

ذلك ما يجعل صاحب الشريعة

- تابع في الحقيقة الفيلسوف الحق وتابع في الرئاسة للرئيس الحق

مالذي يمكن أن يستخلص من مجموعة هذه النتائج ؟

هل حق الفارابي الانتماء التاريخي دون التخرج عن زمانه فتجذبه مركزية المنقول
أوفكرانية المأصول ؟

لا يمكن أن يخفي علينا ونحن نتعامل مع المدونة الفارابية أن الرجل بأسس
لإمكان فلسفي في أرض تسلم بأن الحقيقة على الإطلاق يحوزها الدين ولما كان
مافي الدين قد استوفى الحقيقة فلا توجد حاجة ماسة للفلسفة ، فكان هذا الضروري
التأكيد على ما تحوزه الفلسفة من إدراك للحق يتجاوز الحقيقة الدينية ذاتها وهولا
يتجاوزها تعارضا وإنما يتجاوزها تفضلا لكأن الحقيقة مثال متعال وكلاهما
يشارك المثال حسب مواصفاته الذاتية ففي مجال النظر تصمد الحقيقة الفلسفية
وتزاحم الحقيقة الدينية حتى تتبوأ الصدارة وفي مجال العمل يدرك الفارابي أن زمن
النبوة قد انتهى من حيث لحظة الزمان لا سيما النبوة قد حتمت فمن المنطق أن تتفوق
الرئاسة الفلسفية على الرئاسة الدينية وعاديات الفلسفة متصدرة في مجال الحقيقة
فهي متصدرة في مجال السياسة .

إن السياسة لدى الفارابي قائمة على الحق وليس على روح البراغمية كما
يفهمها مكيا فيلي ولا على روح السفطة كما فهمها السفطاني من قبل ، إن
رئاسة الفلسفة للمعقول والحقيقة تشريع لرئاسة المدينة وثانوية الشريعة في مجال
الحقيقة يشريع لثانوية رئاسة القائم عليها . إن هذه المقدمات الأولية هي التي
ستشرع لتغلغل الفلسفي وسيطرته على الآليات الإبداعية داخل المدونة الفارابية وإن
كانت لآليات المأصول قيمته وأثره وذاك هو فعلا سر نجاح الفارابي المؤسس على
مقدمتين إحداها تحتاج الأخرى حتى يحصل التكامل .

- الإطلاع الملم بعلم المنقول الذي نبغ فيه وأضاف

- الإطلاع الملم بعلم المأصول الذي زود الإضافة بالإمكان

إذ يمكن أن تحصل الإضافة والإبداع الحلاق في فقد أحد الشرطين فالمعرفة المختزلة
في حدود المنقول قد تختزل العمل في جهد المحاكاة والتقليد والمعرفة المختزلة في

حدود المأصول قد تختزل العمل في جهد التكرار والاجترار ومن كلتا الحالتين بعدم الإبداع والخلق الذي يحيل على عقل يجتهد دون أن يقع في مويقات الكسل ، إن الجدلية التي يمكن أن تحصل بين المنقول والمأصول مثلها الفارابي أي تمثيل حتى وإن بدت مقدمات المنقول هي المتحكمة ورغم تحكمها وتوجيهها للعمل لم تقتل فعل الإبداع الذي جعل من الفلسفي يخضع « لبينة » خاصة إذ من الضروري أن لا يتعالى الفيلسوف عن حدّ الزمان والمكان الذي ينتمي إليهما حتى وإن أحوال أعماله لدى من يقرأها سطحيًا إلى ذلك ، لقد عرّيت الأفكار والمعاني ولا يعني ذلك سقوط الفارابي في ضروب من التلقيفية المخلة التي تعتمد إلى تقرب وجهات النظر كي يحصل الانسجام حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة .

هذه الممارسات لا يمكن أن تتسرب إلى فكر الفارابي لأن المشترك بين المأصول والمنقول هو سعي كلاهما إلى الحقيقة والحقيقة واحدة وإن تعددت لها الطرق كما يؤكد ابن الهيثم فإذا كانت حضارة ما تتوسل إليها بطريقة ما فإن الأخرى تقدم عليها من درب آخر ، كلا الدربين لا يتعارضان بل يجب أن يتعاونوا ويتناصحا مادامت الغاية واحدة وفي التناصح والتعاون يحصل الدفع الفعلي فتجسّد التفاعل الحضاري في المدونة الفاربية خير تجسّد ، هذا التفاعل كان القائم على أمره في أتم الوعي بمكانته وكلّ معارضة له قهي عن قصر نظر إما من أصحاب الإجتراح وإما من أصحاب المحاكاة والجدير بالملاحظة أن كل من كان يدعو التأسيس للمنقول والأخذ بأسبابه لم يكن في عدا مع المأصول ولا من منكري مكانته ومن كان يدعو الإكتفاء بالمأصول لم يصل إلى حدّ « تكفير » أو « تبديع » الملحن على أهمية المنقول فكانت لحظة الفارابي بمثابة فيه وفي معارضيه تنجح في الإبداع من حيث أخفق المحدثون داخل الفكر العرب المعاصر ودليلنا الأمثل هو العجز المتواصل على خلق معلّم ثالث على طراز الفارابي إذ لا نزال إلى اليوم في وضعية عقم فضيع على إنجاب الفلاسفة ولعلّ من أسباب العقم هذه عدم إستيعاب الدرس الفارابي ففكرنا المعاصر اكتفى باللحظتين السالفتين للفكر - إما التكرار الاجتراري وإما المحاكاة التقليدية ومما عطل الخلق وضاعف العطالة الفكرية فعلا « دخول التوجهين في حرب كلامية شوهت الحلول الفعلية للإبداع وأصبحت الحرب تعمق المزايدات الانفعالية

التي مع كل إنفعال تغيب دور العقل الفعّال . فاذا المكرر يتراجع إلى الوراء ،
تحصينا لذاته وليس له من إبداع سوى خلق فتاوى « التكفير » وإذا بالمحاكي
متخارج عما هو أصيل تحصينا للذاته في المعاصر وليس له من إبداع سوى خلق
تهم التحقير فتحوّل الحركة إلى مآصول معاد تماما للمنقول وإلى منقول معاد
تماما للمأصول وأهمل الطرفان شروط الإبداع التي خبرها الفارابي ومارسها وأهلتها
أن يكون معلما ثان في حضارة المآصول قياسا بمعلم أول في حضارة المنقول فهل آن
الأوان أن نستفيد من ترياق الجدلية شرط الإبداع تجاوزا للعقم المخمل أم أن الفارابي
سيظل أحدث منا يعرفنا بحدائثه .

الهوامش :

- 1 : تجديد المنهج من تقويم التراث .
- 2 : طه عبد الرحمن
- 3 : نفس المرجع
- 4 : نفس المرجع
- 5 : ذكر فرويد ذلك من كتابه محاضرات
- 6 : جديدة فسي التحليل النفسي ص 104
- 7 : الجمع بين رأيي الحكيمين : الفارابي ص 48
- 8 : نفس المصدر ص 28
- 9 : نفس المصدر ص 28
- 10 : نفس المصدر ص 28
- 11 : نفس المصدر ص 28
- 12 : نفس المصدر ص 27
- 13 : نفس المصدر ص 28
- 14 : نفس المصدر ص 28
- 15 : نفس المصدر ص 29
- 16 : نفس المصدر ص 29
- 17 : نفس المصدر ص 29
- 18 : نفس المصدر ص 29
- 19 : نفس المصدر ص 29
- 20 : السياسة المدنية : الفارابي ص 94
- 21 : آراء أهل المدينة الفاضلة :
- 22 : الفارابي ص 125
- 23 : السياسة المدنية : الفارابي ص 95
- 24 : آراء أهل المدينة الفاضلة :
- 25 : الفارابي ص 48
- 26 : نفس المصدر ص 125
- 27 : نفس المصدر ص 89
- 28 : نفس المصدر ص 94
- 29 : نفس المصدر ص 90
- 30 : نفس المصدر ص 93
- 31 : آراء أهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص 118
- 32 : الملة : الفارابي ص 52
- 33 : آراء أهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص 125
- 34 : السياسة المدنية : الفارابي ص 90
- 35 : إحصاء العلوم : الفارابي ص 43
- 36 : الجمع بين رأيي الحكيمين : الفارابي ص 27 . 28
- 37 : نفس المصدر ص 32
- 38 : نفس المصدر ص 32
- 39 : منزلة الكلّي في الفلسفة العربية : أبو يعرب المرزوقي ص 282
- 40 : آراء أهل المدينة الفاضلة : الفارابي ص 48

الوثيقة الأرشيفية أو الوجه الآخر لكتابة التاريخ

بقلم : عبد الوهاب عبود

« مهما طمرت الحقيقة في أعماق التراب
فإنها تشق التراب وتظهر إلى النور » « أميل زولا »

تكتسي كتابة التاريخ أهمية قصوى من الناحية المعرفية ، وكذلك الحضارية للأمم ... إذ بدون تأريخ الأحداث التي عايشتها الشعوب في المجالات المتعددة ، المحددة لوجودها ونمط عيشها ، لا يمكن فهم هذه المجالات ولا صيرورتها وطالما أن « مستقبل الماضي هو الحاضر والحاضر هو ملامح المستقبل » ، على حد تعبير « أغسطينوس » وجبت ضرورة الاهتمام بالتأريخ وبالتاريخ كعلم ، لذا تنوعت أساليب كتابة التاريخ ، وتعددت المناهج المتعددة ، المنبثقة عن المدارس المتصارعة أحيانا أو المتوافقة والمتداخلة أحيانا أخرى في أنحاء العالم . إن مؤرخي جيل العصور ، اعتمدوا في كتابة التاريخ وتدوين الأحداث على مصادر مختلفة منها على سبيل المثال المصادر الأرشيفية وبخاصة الوثيقة الأرشيفية كمعطى مادي شاهد على حقيقة معينة ، ويحتوي على المعلومة كمادة خامة كتابة التاريخ ...

كما أن هذا المعطى المادي يحتوي على مضمون الحقيقة في سياقها التاريخي ، أو الحق طالما أن الوثيقة الأرشيفية سند إثبات من ناحية أولى ، ومصدر للبحث العلمي من ناحية ثانية . وبحكم اختلاف المصادر المعتمدة في عملية التأريخ ، نتج عن ذلك أن كانت النتائج النهائية محكومة سلفا بما انطوت عليه المصادر من إمكانيات الخطأ والصواب ، أو الخلط في الأحداث والأزمنة والأمكنة . فلا غرابة إذا أن نلاحظ أحيانا ، كيف يحصل الخلاف بين مؤرخين لحقبة ما أو لحدث ما . إننا نعتقد أن الاختلاف في كتابة التاريخ ، جائز بحكم وجود فروق جوهرية في

ذوات المؤرخين من حيث التكوين والإلتصاف الحضاري والإيديولوجي ، ولهذا فإنَّ المؤرخ مهما ادعى الموضوعية فإنه منحاز ، أو بالأحرى واقع تحت تأثير ذاتيته ، هذا من جهة أولى ، ومن جهة ثانية فإنَّ المؤرخ يؤرخ لتاريخ الإنسان - عبر فعله وعمله وردود أفعاله وتفكيره وتأثيره وتأثره - وهذا الأخير - أي الإنسان - لا يمكن حصره أثناء الدراسة والتحليل في خانة العلوم الصحيحة أو التجريبية بالمعنى الضيق .

ولكن ما نودُّ التأكيد عليه هو أنَّ الاختلاف المشار إليه فوق ، لا يجب من جهة البحث العلمي التزيه أن يطيح بالحقيقة التاريخية كحدث أو واقعة ، أو كبنية حضارية بالمعنى الشمولي . وفي هذا السياق ، فإننا نتساءل ويكل عمق السؤال المعرفي ، أي دور قدمته الوثيقة الأرشيفية للبحث التاريخي والأكاديمي أولاً ، وكيف أثَّرت الوثائق الأرشيفية في مجرى كتابة التاريخ وإعادة كتابته وفق مقاييس شروط البحث العلمي التزيه ؟ وإلى أي مدى حققت الوثيقة الأرشيفية الوظيفة الموكولة إليها والمتضمنة في تقديم المعلومة وإنارة الحق ، في خضمَّ الحياة اليومية أو في سياق الصيرورة التاريخية .

رغم المحاولات الجريئة العامة المتمثلة في كتابة التاريخ من منظور علمي ، كتوظيف المنهج التجريبي ، إلا أنَّ الأبحاث أفضت إلى نتائج لم تكن يقينية كما هو الحال في العلوم التجريبية ، طالما أنَّ الظاهرة التاريخية - الحادثة التاريخية - لا يمكن إعادة تمثيلها كما هي ووفق إطارها الزمكاني ، وبلغت أدقَّ إنَّ الظاهرة التاريخية ، تستعصي إعادةتها وفق شروطها التي أنتجتها ، دون الإساءة إلى جوهر الظاهرة في حدِّ ذاته .

إنَّ القول السالف الذكر لا يمنعنا من الإقرار بوجود مؤرخين عظماء ، ولنا في تاريخنا أسماء ، دونها التاريخ في سجله بأحرف من ذهب ، إذ منهم من سبق عصره معرفياً ، ونهج منهجاً موضوعياً وأقرَّ بأنَّ : « فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشهد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقبال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ... » [1] .

هكذا نلاحظ أنَّ إدراك التاريخ ، وتاريخ الإنسان هو مطلب إنساني وأنَّ المعرفة

بتاريخ الانسان ، أخذت نسفا تصاعدياً ، منذ تأسيس الثقافة المكتوبة إذ « لا بد أن تكون الثقافة الإرتجالية » مشوهة » . ليس بالمعنى الوصفي ، وإنما بمعنى الدقة أو الإصالة في الجذور . لأنك في حالة الشك ، يمكنك أن ترجع إلى الجذور في الثقافة المكتوبة ، ويمكنك لهذا أن تمتلك أساً من أسس الدقة العلمية . أما الثقافة الشفهية ، فتنتقل من جيل لجيل ، وفي لحظة البحث عن الجذور ستنبش عن ألف من الستين [الضائعة] دون أن تمتلك إلا نتيجة ترجيحية . فمن منا لم يسمع السيرة الهلالية تروى في كل مكان من الأرض العربية ، تلك الهجرة البدوية الضخمة من جزيرة العرب حتى بلاد المغرب والتي امتلكت هالة أسطورية ، فأضيف إلى أبطالها شجاعات خارقة ومعجزات لم ترو عن الأنبياء ١٠ تستطيع أن تسمع مائة قصة هلالية بشكل مختلف وبأسلوب مختلف ، وتتعجب . فيما بعد . من الذي كتب عن تلك الهجرة . رغم حداثة التاريخ النسبية . يعتمد أساساً على تلك الأساطير المروية عن تاريخهم ، ويؤول العجب ، عندما تعرف أنه رغم انتشار القراءة والكتابة بعد الفتوحات الإسلامية ، إلا أن الثقافة الشعبية ظلت شفوية في غالبيتها ، والمكتوب منها هو [الرسمي] فقط ، الذي اعتمد على علوم الفقه واللغة والشريعة والتاريخ المسلم . [2]

<http://ArchiVeBeit.Saifi.net>

نستنتج مما تقدم ذكره أن علم التاريخ في غياب الثقافة المكتوبة والوثيقة الأرشيفية كشاهد حي على مراحل محدّدة لنشاط أشخاص معنويين أو ماديين يتحوّل . في هذا السياق . التاريخ إلى تصوّر أسطوري ويدخل في ذهنية المخيال أو الخيال الشعبي . وبذلك يفقد علم التاريخ أحد أركانه الأساسية ألا وهي الموضوعية . وتؤول كلّ محاولة في هذا الإطار لكتابة التاريخ إلى بناء ذهني خال من كل حقيقة . وهذا ما يفسّر وجود هذه الأنساق في بعض الكتب التي يدّعي أصحابها بأنهم مؤرّخون وتطفئ الألفاظ المنسوبة للأحدّد والا تحديد في كتاباتهم . على سبيل المثال لا الحصر وجود بعض الكلمات مثل : « قبل ، زعم أحدهم ، يروي عن زيد أن عمرا ... » أو بعض الألفاظ المحاطة بعدم الوضوح على شاكلة : « على ما أظن ، أو العهدة على الراوي » .

إذا تبرز الوثيقة الأرشيفية كمنطلق له أهمية قصوى في عملية التأريخ وكتابة

التاريخ وبالمخصوص إذا تعلق الأمر بكتابة الحركات الوطنية للشعوب ... بحيث أن لحظة التأريخ تبدأ منذ بداية الحركات الوطنية بمختلف أشكالها وأساليبها ورموزها ، ولكن كتابة التاريخ تأتي لاحقا . وفي لحظة حصول فراغ وثائقي لحقبة ما أو لفترة ما فإن الحقائق تطفئ ويقع اللجوء إلى « الشفوي » أو إلى « القيل والقال » أو الأشخاص بقطع النظر عن مواقفهم وعن نواياهم ... لسد الثغرات أثناء عملية كتابة التاريخ ، وهو ما اصطلاح على تسميتهم « شهود العيان » . إننا لا نقصد الإساءة إلى أي شاهد عيان في أي موقع من مواقع المعمورة ، ولكن الإشكال الاستيمولوجي في كتابة التاريخ يطرح نفسه كالتالي :

إلى أي مدى يمكن اعتبار شاهد العيان موضوعيا في روايته ، هذا من ناحية أولى . ومن ناحية ثانية ومهما كانت شهادته حائزة على « النزاهة » فأننا ندرك جيدا أن الدليل المادي المجرد والمقصود به « الوثيقة الأرشيفية » لا يمكن أن يتم تعريضها بما هو « شفوي » طالما أن عملية التأريخ وكتابة التاريخ لا تستمد شرعيتها ومصداقيتها من « الشفوي » بل من المادي . أي أن الوثائق ستكون مجرد وسيلة لا غاية ، نقرأ باطنها ولا نتفاضل أعضائها ، نقرأ باطنها في طلب حالات الصراع أي تأخذ جانب الإيجاب والسلب فيها ، فنقرأ أيضا نصوص المهزوم لنعترض على ضالتنا ، فإن لم يكن هذا ممكنا حقا ، يكون من الممكن خلق تمثيل أو تصور أقرب للواقع » [3] . إن القول السالف الذكر يلوح للعيان في سياق جدل المهيمن عليه ، أو في ثقافتنا الغالب والمغلوب . وفي لحظة قراءة الوثائق ستساوي بالطبع كل الوثائق ، وإن كانت في الحقيقة غير متساوية لأن فعل القراءة يجعلها أخيرا متساوية بغض النظر عن الكيفية التي تركها بها الأقدمون لنا ، والوثائق التي ندينها بالكذب هي في الغالب الوثائق التي لم نعرف قراءتها . على حد تعبير « هورس » [4] .

علينا أن نكون متواضعين في تقويمنا وتناجنا فلا نحمل الوثيقة الأرشيفية كمرجعية في عملية التأريخ وكمصدر يتحدث في الأساس عن تاريخ تكون . ما لا يمكن أن تتحمله .

هكذا نلاحظ أن فعل الكتابة عن تاريخ تكون يستدعي بالضرورة توفر المعطى

المادي ألا وهو الوثيقة الأرشيفية حتى تستقيم كتابة التاريخ وفق منهج علمي . إن غياب المصادر التاريخية بشكل عام والوثائق الأرشيفية بشكل خاص ، يبيح للكثيرين من البهانة ، اللجوء إلى افتراضات وتخمينات ، لسد الثغرات ، وبذلك يحملون الأجزاء ، كليات غير قادرة على حملها إطلاقاً ، إذ أنه من غير الممكن أن تؤدي الجزئيات وحدها إلى نتائج كلية في سياق الصيرورة التاريخية ، هذه الأخيرة هي عملية متشابكة لا يمكن أن يسد النقص الوثائق فيها بعض الترميمات اللغوية ولا حتى بعض الترميمات التاريخية ، إذ أن محاولة الترميم والتلفيق تطيح بالحقيقة التاريخية وبالتالي تصب في خانة تزيف الوقائع ، ويتحوك الوعي بالتاريخ في هذا الإطار إلى وعي وهمي وتصور لا تاريخي .

إن الوثيقة الأرشيفية تمكنا من استنطاق التاريخ والدخول فيه وبالتالي كتابة سواء بشكل جزئي أو كلي ، شريطة أن تتوفر عوامل أساسية ، تهدف إلى العناية بالوثيقة الأرشيفية ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، المراجعة المستمرة للنصوص القانونية التي تعنى بالوثائق الأرشيفية حتى تستقيم عملية الإطلاع على الوثائق وبالتالي تيسر عملية البحث التاريخي أو العلمي ، عدم ترك الوثائق الأرشيفية نائمة في الرفوف بل لابد من معالجتها مادياً ومعرفياً وتحضيرها وإتاحتها للمستفيدين وفق أسس عصريّة وعلميّة حتى تحصل الفائدة وتتحقق الغاية التي من أجلها وقع الاحتفاظ بها ، إلى جانب ماورد ذكره لابد من العمل على نشر المعلومة والتحسيس بأهمية الوثائق الأرشيفية كوعاء للمعلومات ومصدر للحقائق التاريخية ...

هكذا بلغة « إميل زولا » نتمكن من إخراج « الحقيقة » إلى النور ونزيع عنها الغبار من الرفوف .

ملاحظة :

* وقع الاعتماد على المراجع التالية :

- 1 . المقدمة . ابن خلدون . دار الطليعة . بيروت
- 2 . 3 . 4 . التاريخ والأسطورة . د . عبد الهادي عبد الرحمن . دار الطليعة . بيروت

حول لقبى باشا وعزونة*

ردّ على السيد : محمد بن الأصفر المحامى

بقلم جلّول عزونة

1. تقديم :

إنّ جدية السيد محمد بن الأصفر المحامى لا تحتاج إلى دليل، وهو الذي ما انفك يتحفنا بين الحين والآخر بدراسات جدية سواء على صفحات مجلة الإتحاف أو جريدة الصباح أو غيرها⁽¹⁾ وبالأخص تلك السلسلة من المقالات حول الأونوماستيكا العثمانية⁽²⁾

وقد كان لنا معه في الماضي التقاء فكري آخر اثر نشرنا دراسة النهضة العربية في جريدة الصباح، فتصدى لنا معقبا وموضحا ومتماثلا⁽³⁾ واليوم بشرتنا مجددا بالتمريض لما أوردناه في كتابنا : مبزل تميم عاصمة الدخلة⁽⁴⁾ حول لقبى باشا و عزونة فينقّ ما قلناه وينقده ويصلح ما وقعنا فيه من أخطاء، ونحن نغتنم هذه الفرصة لتقديم التوضيحات التالية:

أ - الشكر الجزيل لمحمد بن الأصفر لغيرته العلمية وبحثه الدؤوب واجتهاده الهلوي المبشر بكل خير.

ب - أنّ ما قُتّمناه من محاولة لتفسير أصل العائلات بمنزل تميم - وكان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات وبالتحديد في سنتي 1978 و 1979 - ومحاولة تفسير أصل الألقاب، مجرد اجتهد لهلوي مثلكم، لم يكن

* فصل من كتاب الأستاذ جلّول عزونة سيصدر عن قريب عن دار الانحاف.

يملك في ذلك التاريخ من المراجع والمصادر إلا النزر اليسير، وبالخصوص لم تكن له من المؤلفات العلمية في هذا الميدان البكر إلا بعض عقود زواج وبعض الروايات الشفوية وبعض المراجع التاريخية المعروفة والمتداولة وبعض الحدس الذي أصاب أحيانا وأخطأ مرات⁽⁵⁾.

لكل هذا، سررت بتعديلتك ونقدك، ورحت بها لأنها تساهم في إظهار الحقيقة المعرفية لا غير، وهو هدفنا المشترك.

2. حول لقب الباشا أو باشا :

لقد بين محمد بن الأصفر أصل ألقاب التشريفات والمراتب العسكرية وتأثيرها على اللقب العائلي التونسي. و بين كذلك أن لقب باشا إما أن يكون قد جاءنا من المغرب، أو أنه تعريف لباشي Basci الكلمة التركية والتي تعني حربيًا قائد ورئيس العمال ورئيس المجموعة وبائع الخرفان والضان... وأظهر أن لقب عائلة باشا بمنزل تميم لا يمكن أن يكون لعائلة تركية الأصل، خصوصاً وأن أبرز من ظهر في تلك العائلة، ألا وهو اسماعيل التميمي، شيخ الاقضاء بالايالة التونسية أوائل القرن التاسع عشر، كان مالكيًا وليس حنفيًا مثل الأتراك... إلى غير ذلك من الأدلة والحجج الدامغة.

وقد رجعت إلى حفيد اسماعيل التميمي، الشيخ محمد سلامة باشا عمدة منزل تميم سابقا، أمّد الله في أنفاسه - فأكد لي أن أصل عائلتهم من المغرب الأقصى حسبما وصله من روايات شفوية منقولة عن أجداده أتوا من الساقية الحمراء وكان أحد جدوده "خليفة" بمنزل تميم. وهو نفس الاستنتاج الذي توصل إليه محمد بن الأصفر، معتمدا على وجود

لقب باشا بالمغرب الأقصى وبالخصوص على ما أورده المرحوم عثمان الكعاك في كتابه مراكز الثقافة في المغرب ^(٥) حين قال : "يكون المؤدب في تونس مغريباً في الغالب" ...

ونحن نعلم أنّ المعالوين الذين أطلق اسمهم على دخلة المعالوين (ولاية نابل حالياً) جاؤوا من المغرب الأقصى وكذلك سيدي محمد الفيلاي، مؤسس مدينة منزل تميم مع عائلة حباشة، الذي قدم المنطقة من تافيلالت، على تخوم الصحراء بالمغرب الأقصى.

وما ذهب إليه محمد بن الأصفر هو نفس ماذهب إليه الدكتور الهادي حمّودة الغزّي في بحث مرقون لم ينشره بعد تحت عنوان : اسماعيل التميمي سجنول بأهمّ الأحداث السياسية والاجتماعية في عصر اسماعيل التميمي، وعندنا نسخة منه.

ويورد د. الهادي الغزّي في ترجمة الشيخ ابن ملوكة كما نجدها عند ابن أبي الضياف ^(٦) خبر الخصومة بين اسماعيل التميمي والشيخ ابن ملوكة وكيف قال هذا الأخير للأول :

"... وأنتيك لتعلم أنّي سامحتك في النكيا والآخرة، فقل ما شئت وأنت في حلّ منّي، لأنك من الإشراف ولا أحبّ أن الله يعاقب شريفاً من أجلي". ويقول ابن أبي الضياف في مكان آخر : " ولد هذا الفاضل بمنزل تميم وبيته من أشرفها. ^(٨)

ويستنتج الدكتور الغزّي ميلي :

" وصار الشيخ اسماعيل " التميمي " بعد ذلك يعبر عنه بالولي في لسان الشرع وإذ لم تكن عائلة أبي الفداء تركية فمن أين إذا جاءها لقب

الباشا ؟ من المرجح عندنا أن هذا اللقب أدخل على العائلة تسبيها، لأن هذا اللقب في تلك الفترة كان موقوفا على الأسرة الحاكمة ولا نعلم أتركا ينزلون خارج العاصمة مستوطنين وهم من الباشاوات ... والعلماء يعتنون اسماعيل التميمي من آل البيت ومن لوستقراطية الامر التميمية وأنه لم يكن بحال من الأحوال من أصل تركي.

وقد وجدنا الشيخ ابراهيم الرياحي يمدح أستاذه اسماعيل التميمي، كبير أهل الشورى بقصيدة احتوت على 23 بيت من الشعر، على البحر الوافر ومنها يقول :

* كان الشيخ اسماعيل لما تَلَّأ علمه يوم الختام
... وهنه تمام بدر كلام فلقب بالتميمي الامام
و شرفه علانميا ونسكا فكان من الكمال على تمام
... ولودع عنده عهدا فإني لرى الإشراف عهدا للتمام
ولا زالت به الإشراف تسمو فإن بقاءه سبب الدوام. (9)

وإن كنت متقفا مع إبعاد الانتساب للأترك لعائلة باشا بمنزل تميم، فإني من كون اسماعيل التميمي من الصقالبة وبالتالي من المعاوين لأن لا شجرة المعاوين الموجودة إلى الآن ولا الروايات الشفوية المتواترة سواء لدى أهالي منزل تميم أو أهالي قرية الصقالبة تنتسب ولو من بعيد عائلة باشا إلى المعاوين وإنّ فإن الشرف المنسوب إلى عائلة باشا إنما هو شرف مغاير لشرف المعاوين ولعله شرف من جاء من المغرب الأقصى مثل شرف سيدي محمد الفيلالي ؟ ...

3. حول لقب عزّونة :

لن أضيف شيئاً كثيراً لما أوردته حول لقب عزّونة بكتابي المذكور: منزل تميم عاصمة الدخلة (من ص 114 إلى ص 116).

ولكنّي أريد أن أشيد بالإحالة التي أوردتها محمد بن الأصفر (ص 21 من عدد 39 من مجلة الإتحاف) حيث يقول :

* ففي منزل تميم يوجد لقب عائلي هو بو عزيز، ولنفس هذا اللقب أصل في المغرب الأقصى. وأنّ جلّول عزّونة نفسه لم يهتد إلى ضبط أصل لقب عائلة عزّونة. والحال أنّ للقب أصلاً في المغرب الأقصى هو اسم المرحوم عزّونة روجه أبو السداد إسحاق الغازي الشيخ تلميذ الدبّاغ⁽¹⁰⁾ * ونجد إلى اليوم اسم عائلة عزّون "بعين حدود" بمكناس بالمغرب الأقصى. (عزّوني بالمحلة الكبرى بمصر). وقد علمت من بعض الأصدقاء الموريتانيين أنّ هناك في موريتانيا قبيلة كاملة معروفة تسمّى قبيلة عزّونة. وحسب بعض الروايات الشفوية في منزل تميم، هناك من يرجع أصل العائلة إلى المغرب الأقصى بعد محطة القيروان وربّما جربة ؟ و هو ما يتفق مبدئياً مع ما ذهب إليه محمد بن الأصفر. ويبدو أنّ أصل بن عزّونة أربعة أخوة أتوا من المغرب الجبّاني، استقرّ أحدهم بالجزائر (باب عزّون) وأحدهم بالجيرة (باب الجزيرة تونس) وثالثهم بدار شعبان (بنّاء) والرابع بمنزل تميم، وهبّ فرع منهم لحلق الوادي سنة 1927. وقد عثرت أخيراً على ترجمة موجزة لأحدهم يقول فيها :

* عمر بن عزّون السلمي، الشيخ الجليل الفقيه، الفاضل المحصل - أبو علي - رحل إلى بلاد المشرق وقرأ بها ومهر - ووصل إلى بجاية وظهر واشتهر وقضى بها وكان المشاور والمفتي بها وعليه وعلى الفقيه أبي عبد

الله الأريس كان يتوقف حال القاضي أبي محمد بن عبد الله بن حجاج * .
وقد ورد التعريف بأبن عزّون كذلك في كتاب : عنوان الدراية في
من عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ⁽¹²⁾ الخ ...

4. خاتمة :

ولا نريد الإطالة في ردنا هذا، بل سنكتفي بإيراد ما قاله محمد بن
الأصغر في جريدة الصباح (1992) :
" وفي الحقيقة فإن ميدان الألقاب العائليّة (الألوماستيكا)
محفوظ بالمخاطر وبالآثر لاقت وقد لاحظ الأستاذ زيزيتانو المدرّس
بجامعة بالرمو (إيطالية) ما تعريبه : إن ميدان الألوماستيكا جذاب وهو
يخفي لنا عدّة مفاجآت - فلا بدّ من الاحتياط من الاشتقاقات المخطئة
(الزائفة) التي كلن العالم العربي حسنا لها على الدوام ."
نعم، لابدّ من الحيطة ونحن نبحث عن جنود الأسماء ونقلبها
جغرافيا وتاريخيا، لأن لكلّ إسم عائلة طريقها (route) المترددة دوما ما بين
منازل الجيوش ومزارع المرابطين والأولياء وما بين الجبال والأودية
والصحاري حسب تقلّبات الأحداث والرجال والطقس فلنبحث ونتمعّق
ونقدّم الافتراضات ثلو الافتراضات ولكن بدون حسم لأنّه قد لا تكون
نتيجته إلّا الأثر لاق في الغلط..

5. بعض المصادر والمراجع التكميلية :

أ - حول الألوماستيكا :

• محمد التونسي : - الإيماء إلى علم الأسماء (فرغ منه في المحرم سنة 880 هـ)

- الهوية في ذيل كتاب الإيماء.

- تيسير المطالب لكل طالب في الأسماء والحروف (13)

• د. السامرائي : الاعلام العربية، بحث في أسماء الناس

(ابراهيم) دار الحديث - بيروت - لبنان ط 1 - 1990 - صفحة 246

• د. محمد جاسم حمادي المشهداني :

الانساب العربية ودورها في تكوين تاريخ الأمة - هيئة

كتابة التاريخ - سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة -

دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - 1989 - صفحة

114-

• أحمد عبيدلي : الإمام عزّان بن قيس " 1868 - 1871 " عمّان

جوانب من التاريخ العربي الإسلامي في ظلّ الهمنة

الأوروبية - دار الحديث - بيروت - ط 2 - 1984 -

صفحة 181.

• محمد بن اسماعيل : مقال : من قضايا أسماء الإعلام عندنا الملحق الثقافي

لجريدة الحرية - 8 أبريل 1993 ص 2.

ب - حول لقب عزّونة وعزّون ...

• الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير - توفي سنة 310 هـ -

تاريخ الرسل والملوك - طبعة مكتبة خياط - بيروت - 1565 -

انظر القسم الثالث - مجلد 12 - ص 1331 وما بعدها. و
ص 1504 وص 1681.

• عبد الرحمان بن خلدون : تاريخ : المجلد السادس -
ص 250 - وبالأخص ص 493 عن الثائر ابن عزون - وص
486 وما بعدها.

وفي المجلد المتابع : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا،
ص 548 - الخبر عن أحد قواد أحد سلاطين بني الأحمر واسمه ابن
عزون...

• د جونت مدلج : الحب في الأندلس - دار لسان العرب -
بيروت 1985 ص 252 (خبر عن عزون ابن الحاج صاحب قرطبة).

• صالح باجيّة : الاباضية بالجريد - طبع دار بوسلامة ص
203 وفيه خبر عن بياضة بن عزون (من أهالي جربة)
• الصادق بن مرزوق : الاباضية والغلو... والتعصب (مقال:
الصباح 10 أفريل 1977 ص 9 -)

• علي بن يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ - الحلقة
الثالثة، الاباضية في تونس - دار الثقافة - بيروت - ط 1 - 1966 ص
131 (وفي ذلك خبر عن بياضة بن عزون)...

• قرية "عزّون" و قرية "عزّون عتمة" بـفلسطين المحتلة (الضفة
الغربية المحتلة - حيث دارت معركة بين الأنكليز والفلسطينيين في 26
جويلية 1936 - وحيث نتواصل الانتفاضة 1939... الخ...
رحلة التجاني وفيها خبر عن عزون أحد زعماء جربة في العهد الحفصي
زعم النكارة - ص 123 - الدار العربية للكتاب - 1981 -

الهوامش :

- (1) أنظر مثلاً مقالة بالصباح : حول بيان الجمعية التونسية للدراسات الأندلسية: المزلق الأونوماستيكية (جانفي 1992) وفيه تعرض للقب: كشك وشلي - وبالإتحاف عدد 34 حول: الأونوماستيكا والمهن اليدوية في تونس (جوان 1992)
- (2) الإتحاف عدد 36 - أكتوبر 1992 وعدد 39 - أبريل 1993 من ص 16 إلى ص 30.
- (3) الصباح : الخميس 31 ماي 1979 ص 12 و 13 - والصباح 24 ماي 1979 ص 12 و ص 13
- (4) الأخلاء عدد 49 - 1984.
- (5) علم أسماء الأشخاص بمنطقة الوطن القبلي، عنوان محاضرة ألقاها الأستاذ توفيق البشروش بنابل أواخر شهر مارس 1993، ويبين فيها بالخصوص أن هذا العلم جديد علينا في تونس وفي الوطن العربي رغم ما نجده في التراث حول علم الأكنساب، لأنّ العلم الجديد ينتهج طرقاً خاصة به ومقاربات لها مواصفاتها الدقيقة ومنهجاً له قواعده. وقد أطلت الأستاذ البشروش إلى سلسلة مقالات محمد بن الأصفر.
- (6) جامعة الدول العربية ومعهد للدراسات العربية العالية - المطبعة الشمالية - عابدين - 1957 - صفحة - 25.
- (7) الإتحاف : جزء 8 - ص 10 - (ابن أبي الضياف)
- (8) الإتحاف : جزء 8 - ص 11 (ابن أبي الضياف)
- (9) ديوان إبراهيم الرياحي - دار الغرب الإسلامي - بيروت 1990. صفحات 104 - 105 - و 73 - 74 و 156 و 157.
- (10) عبد العزيز بن عبد الله : الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. جزء 3 - صفحة 36. 1978 - 1396 هـ - مع ملحق عدد 1 عن مطعة الصحراء.
- (11) كتاب توشيح الديباج وحالية الإتيهاج لهدر الدين القرافي المتوفى سنة 946 هـ - 1533 م - تحقيق وتقديم أحمد الشثوي - دار الغروب الإسلامي ط 1 1983 - ص 157 - ترجمة عدد 157

(12) تحقيق رابح بونار - طبع الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر - 1971.
(13) كان حيّا سنة 1475 م . وهو محمد بن محمد بن يعقوب الكوفي (الكرجي) ؟
التونسي، أبو عبد الله - انظر عنه : هدية العارفين للبغدادي - وحاجي خليفة ص 215.
وعمر رضا كخالة : معجم المؤلفين ج 11 و 12 ص 311. و فهرس مخطوطات
الطاهريّة...

III خاتمة :

وهكذا تظهر قيمة دراسة مستشرقنا بارجو هانسن، وقيمتها تبدو لي بالخصوص في إشاراتها للفترات التي يجب على الباحثين سدها حتّى يكتمل فهمنا وتصورنا لتلك الفترة الحاسمة من انطلاق النهضة الإسلامية العربية المعاصرة . ولا بدّ من دراسة نقدية وتحقيق لرسالة إسماعيل التميمي وإعادة نشرها لأنّها تعدّ في باب المخطوط نظرا اندرة نسفها⁽¹⁹⁾ ولما أثاره المطبوعة الأخرى فهي قليلة
(أ) رسالة في الخلوة ووجوهه عند المصريين والمغاربة وهي بضع صفحات طبع المطبعة الرسمية سنة 1316 وهي ضمم مجموع رسائل وفتاوي وهي أول الرسائل⁽²⁰⁾

(ب) تراجع لئمة جامع الزيتونة وقد طبع هذا ضمن تاريخ ابن أبي الضياف الذي اقتبسه بحرفه عن أستاذه وضمّنه مؤلفه الطويل وهو يوجد بالجزء السابع - من ص 61 إلى 69 من كتاب إتحاف أهل الزمان أما آثاره المخطوطة فكثيرة وسنرجع إليها ونخصّص لها مقالا لنحصرها ونضبطها وننل على أماكنها.

ونختم هذا الفصل بإيراد فقرة من كتاب رسائل أحمد القيجي القليبي حيث ذكر وفاة إسماعيل التميمي وهو مما يدلّ على قيمة الرّجل

وَقَصَالِ الْقَلْبِيِّ بِهِ ⁽²¹⁾ يَقُولُ الْقَلْبِيُّ فِي رِسَالَةِ بَنَارِيخٍ أَوْلَاخُو جَمَادِ أَوَّلِ 1248 هـ (ص 138) أَمَّا لَحْنُ يَا أَخِي فَلَا زِلْنَا بِقَلْبِيَّةٍ بِالْيَامَلِكِ قَلَائِلِ
بِإِنْ شَاءَ اللَّهِ مُتَوَجِّهُونَ لِمَحْرُوسَةِ تُونِسَ لَتَعَزِيَّةِ أَهْلِ الشَّيْخِ سَيِّدِي إِسْمَاعِيلِ
الْتَّمِيمِي فِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ — وَتَهْنِئَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الرَّيَّاحِي لِبَقَاةِ اللَّهِ بِخَطَّةِ شَيْخِ
الْإِسْلَامِ، يَكُونُ ذَلِكَ مَعْلُومَ الْمَيَّادَةِ...

وَلَا بُدَّ أَنْ الْقَلْبِيُّ كَانَ سَيِّعَزِي ابْنَةَ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ الَّذِي تَنَجَّبَهُ
إِسْمَاعِيلُ التَّمِيمِي الْمَسْمُوعِي عَلَيَّكَ — وَالَّذِي تُوْفِي فِي حَيَاةِ أَبِيهِ — وَهَذِهِ الْإِبْنَةُ أَيْ
حَفِيدَةُ إِسْمَاعِيلِ التَّمِيمِي — وَالْمَسْمَاةِ عَائِشَةَ، تُوْفِيَتْ حَسَبَ التَّقْرِيبِ سَنَةَ
1932 أَوْ 1933، وَقَدْ تَرَكْتَ تُونِسَ وَانْتَقَلْتَ لِلْعَيْشِ بِمَنْزِلِ تَمِيمِ تُوْفِيَتْ بِدُونِ
أَنْ تَتَرَكَ عَقِبًا — وَهَكَذَا انْطَفَأَ غُصْنُ إِسْمَاعِيلِ التَّمِيمِي إِلَّا مَا تَرَكَهُ مِنْ أَثَرٍ
مَخْطُوطَةٍ وَمَطْبُوعَةٍ تُشْهِدُ لَهُ بِطُولِ بَاعَةِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ — وَقَدْ رَبَّتْ عَائِشَةُ
الْمَذْكُورَةُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ النَّوَالِيَّ وَالْبَشِيرَ النَّوَالِيَّ ابْنَيْهِ حَسْبَمَا أَطْلَعْنِي بِذَلِكَ
هَذَا الْآخِرِ.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وَقَدْ كَانَ لِإِسْمَاعِيلِ التَّمِيمِي إِشْعَاعٌ فِي عَصْرِهِ تَعَدَّى حُدُودَ الْمَمْلَكَةِ
التُّونِسِيَّةِ، فَبِجَانِبِ مَكَلَبَتِهِ لِابْنِ السَّعُودِ وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ
مُرَاسَلَاتٌ مَعَ بَايَاتِ عَهْدِهِ مَعَ حُسَيْنِ بَايِ الثَّانِي وَمَعَ حَمُودَةِ بَاشَا وَمَعَ قَضَاةِ
الْمَمْلَكَةِ آنَ ذَاكَ وَمَعَ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ، أَسْتَاذِهِ وَمَعَ عُلَمَاءَ مِنْ تَرْكِيا
وَالْمَغْرِبِ وَالْجَزَائِرِ، وَمِنْ هَذَا الْبَلَدِ الْآخِرِ أَذْكَرُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارِ الْجَزَائِرِيِّ
(أَبُو الْعَبَّاسِ) مَفْتِي الْمَالِكِيَّةِ بِالْجَزَائِرِ وَصَاحِبُ الرِّحْلَةِ الْمَسْمُودَةِ نَحْلَةَ اللَّيْلِيِّ
/ بِأَخْبَارِ الرِّحْلَةِ إِلَى الْحَبِيبِ وَفِيهَا تَحَدَّثَتْ عَنْ مَفْرَةٍ قَامَ بِهَا إِلَى الْحِجَازِ سَنَةَ
1166 هـ وَلَهُ مَوْشَحَةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ لَوُرْدَهَا لَهُ الدُّكْتُورُ عِبَّاسُ الْجَزَائِرِيِّ فِي
كِتَابِهِ : مَوْشَحَاتٌ مَغْرِبِيَّةٌ ⁽²²⁾ وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ التَّمِيمِي عَلَى رِسَالَةٍ لَهُ فِي

الوقف.

والتّيممي رغم محافظته واعتماده النقل، فهو يعدّ مجتهداً ولو نسبياً
في نظرنا ولكنّه كان يعتبر أمام المجتهدين في زمنه.

الهوامش :

- (19) توجد منها أربع نسخ مطبوعة بالمكتبة الوطنية بتونس
(20) توجد منها كذلك أربع نسخ مطبوعة " " "
(21) رسائل أحمد القليبي بقلم علي مصطفى المصراطي - طبع الدار العربيّة للكتاب -
1976 ص 31 و 133 ذكر إسماعيل التّيممي وانظر بالخصوص ص 133 أين نصّ
الرسالة التي تعيننا.
(22) طبع الدار البيضاء - 1973 - ص 107 و 108 انظر كذلك كتاب الدكتور الهادي
حمودة الغزّي : الأدب التّونسي في العهد الحسيني - الشعر - وقد ذكر فيه عرضاً
إسماعيل التّيممي

خصائص الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث

بقلم : محمد الصادق عبد اللطيف

الترجمة الذاتية فنٌ أدبي له دعائم أساسية ثلاث يقوم عليها : صاحب الأثر ، الموضوع أي الصّور التي يضعها الواقع أمام الأديب ، العلاقة بين الأديب والواقع ، وهذه العلاقة هي التي ينشأ عنها اختيار الأديب لموضوع معين من الواقع الذي يعيش فيه ويحسّ به ليكون ذلك الموضوع هو الموضوع الفني الذي يعالجه . لكن لئن اشتركت الترجمة الذاتية مع كلّ الفنون الأدبية في هذه الدعائم فهي تختلف عنها اختلافاً أساسياً لأنه فن ليس له قواعد يتميَّز بها . فالترجمة الذاتية تخضع لشرط واحد وهو أن يدوّن الأديب بنفسه قصة حياته بالأسلوب الذي يفرضه عليه موضوعه من حيث التعبير والتصوير أي من حيث الشكل . إذ لا نجد للترجمة الذاتية قواعد ولكن ستجد لها خصائص تميَّز بها وهي خصائص تابعة من الإطار الاجتماعي الذي نشأ فيه الكاتب ومن طبيعة الواقع الذي احتكّ به ومن رؤية هؤلاء الكتاب ، التي بها ضبطوا موقعهم من هذا الواقع .

خاصية أولى تهدولنا أساسية .

1 - أهمية الريف في هذا الأدب مصوراً بأضواء المدينة

إنّ جلّ كتاب الترجمة الذاتية جاؤوا من الريف إلى المدينة بعد أن قضوا فيه فترة الطفولة وعهد الصبا أو هم ولدوا في المدينة ولكن نط حياة أسرهم فيها ظلّ متأثراً بنمط الحياة الريفية .

- طه حسين ولد بالصعيد المصري وفيه نشأ

- مبخائيل نعيمة ولد في قرية بسكتا

- العقاد ولد في أقصى الجنوب المصري

- والشاوي ولد بالشابية بالجنوب التونسي

جـ - وشكيب أرسلان ولد بجبل لبنان

د - ولتن ولد توفيق الحكيم بالأسكندرية وأحمد أمين بالقاهرة فانهما عاشا طفولتهما وفي صباهما عيشة لا تختلف كثيرا من عيشة أهل الريف فنحن نعلم أن أحمد أمين نشأ في حي شعبي [بحي المنشية] ونعلم أن توفيق الحكيم قضى طفولته بقرية الدلنجات ، وقد كان والده وكيلًا للنّياحة إلا أنهم جميعا انتقلوا إلى المدينة على ظمأ اعتقادا منهم مركز القيم المثالية وعلى كل إيماننا منهم في بداية أمرهم أن العلم هو القيمة الأساسية في المدينة ونذكر قوله طه حسين « وأقبل إلى القاهرة وإلى الأزهر يريد أن يلقي نفسه في هذا البحر فيشرب منه ما شاء الله أن يشرب ثم يموت فيه غرقا وأي شيء أحب إلى الرجل النبيل من هذا الموت الذي يأتيه من العلم ويأتيه وهو غارق في العلم » ثم يواصل « كانت هذه الحواطر كلها تثور في نفسه الناشئة فجأة فتملؤها وتلكها وتنسيها تلك الغربة الموحشة وتشعرها بأنها لم تكن مخطئة ولا غالبة حين كانت تتحرك شوقا إلى الأزهر وضيقا بالريف » [الأيام الجزء الثاني ص 17]

ولكن منهم من حلّ بالمدينة نازحا إليها هاربا من الظلم الذي سَلط على الفلاحين الصغار في الريف وطمعا في أن يجد في المدينة العدل والرواق وهذا ما دفع مثلا بأسره أحمد أمين إلى هجر بلدها والأقامة بالقاهرة حيث لا قريب لها ولا مأوى ، وإذا بالمدينة تصبح في نظر أمين قيمة مثلى يقول « في ليلة من الليالي خرج إبني الصغير وعمي الكبير يحملان معهما قليلا من الزاد والأثاث ونزلا في حي المنشية ، ظلم صراف البلد ، أخرج أبي وأسكنه القاهرة حيث ولدت وتعلّمت ، ولولا ذلك لنشأت فلاحا مع الفلاحين أزرع وأفلق ولكن تتوالد الأحداث توالدا عجيبا قد ينتج أعظم خير من أعظم شر » [حياتي ص 14] .

المهم إذا أن تصوير الريف خاصية تشترك فيها جلّ التراجم الذاتية ولكن هذا التصوير مسلط على الريف من المدينة فأصبح الريف في أدب الترجمة الذاتية التي تعيننا مكتفيا بنظرة أصحابه إليه من خلال المدينة أي أن رؤية كُتّاب الترجمة الذاتية للريف هي رؤية حضارية مدنيّة . فالريف إذن في جلّ أدب الترجمة الذاتية ليس ريفا ريفيا ولكنه ريف حضاري .

2. الصراحة المكبوتة

لاشك أن بلوغ مرتبة الصراحة القصوى في الترجمة الذاتية أمر عسير بل لعله مستحيل مهما كان تطور المجتمع الذي يعيش فيه الأديب وعلى كلِّ فإنَّ النسيان على الأقلَّ مهما كانت أسبابه أمر لاصق بالنسيان ويوجب هذا النسيان تصحيح الصراحة المطلقة أو يصحح ذكر الحق المطلق مطلباً عزيز المآل في الترجمة الذاتية .

١ . إنَّ كتاب الترجمة الذاتية العرب قد اجتهدوا في اجتياز مدى فهم الصراحة ولم يكتفوا بذلك بل إنَّهم وضعوا مشكل الصراحة نظرياً ، نجد أحمد أمين يشره في كتابه وميخائيل نعيمة كذلك أثار القضية وطه حسين أثار هذه القضية بكلِّ وضوح . فطه حسين تحاشى ذكر الحياة الجنسية ولكنه على الرغم من ذلك تحدَّث كما نعلم عن هاجس الجنس أيَّ العادة السريَّة ذلك الهاجس الذي يزور طلبية الأزهر في الرِّبع وهو أبو طرطور . الحكيم كذلك تحدَّث عن العادة السريَّة . ميخائيل نعيمة يتحدَّث عن علاقته بالنساء . ولكن هذه الصراحة التي تبدو متمثلة في التعبير عن الجنس لعلها ليست مثلة هنا في أهمِّ وجوها .

يقول جان جاك روسو في اعترافاته « إنني صنعت أثراً لم يعرف له مثيلاً قط ولكن لم يقدر على محاكاته أحد أبداً ولقد أردت أن أعرض على الناس إنساناً في حقيقته الطبيعية العارية ، وإنما أنا هذا الإنسان ... لقد صدعت في هذا الكتاب بالخير والشر ملتزماً في ذلك نفس الصراحة فلم أكنتم فيه سراً فعلته ولاذكر فيه خيراً إلا أضفته » إلا أنَّ الدِّراسات قد دلَّت على أنَّ روسو شوَّه الحقيقة .

وكذلك الكاتب « أندري جيد » قضى سنين عديدة في تدوين مذكراته مجتهداً في تصوير ذاته تصويراً مخلصاً ، إلا أنَّ بعض الأصدقاء [الجدد] وهو من الثقات شهد بأنَّ [جيد] سقط في الصراحة الكاذبة ونسب لنفسه صراحة كاذبة ، وللدارس أن يسأل عن أسباب عسر بلوغ الصراحة القصوى في الترجمة الذاتية وخاصَّة في الأدب العربي ؟ هناك أسباب عديدة . لعلَّ قصور الذاكرة هو السبب الظاهر ، وهذا القصور يتمثَّل في صور عديدة أهمُّها :

أ . النسيان الطبيعي

ب . النسيان المقصود

فأنه يعسر عادة أن نتذكر فترة الطفولة بوضوح وصفاً ، وقد نذكر أشياء من عهد الطفولة لأن تلك الأشياء هامة ، إن الذاكرة لا تنجح في القصور الصادق للواقع وإنما هي تعيد تنسيقه وقد تشذ به وتعرضه حسب رؤيته راهنة للكاتب تلازم البيئة وكذلك فإنها تحلله وتعلله ، لذلك توفيق الحكيم حسب معطيات جديدة نابغة من نظرة الكاتب في الواقع الراهن ، فالصراحة إذا خاضعة لتصورات راهنة ولعل هذا ما دفع الكاتب الألماني قوت إلسي جعل عنوان ترجمته الذاتية [الشعر والحقيقة] مشيراً بذلك إلى أن حياة الإنسان مزيج من الخيال والحقيقة .

2 . اضطرار جلّ كتاب الترجمة الذاتية إلى اعتبار هذا الفن أدبا نابعا من عملية اختيار للعناصر التي يحسن تدوينها فالكاتب يلغي عمدا ما يريد أن يلغيه لأسباب مختلفة منها :

أ . ما هو راجع إلى رؤية أخلاقية كذلك فعل نعيمة وفعل أمين فنعيمة يقرّر كشف جميع أسرارها « إلا ما كان أبعد وأعظم من متناول أبصار الناس » وأمين قرر أن لا يقول كل الحق لأنّ من الحق ما يردل قوله .

ب . ما هو راجع إلى ظروف المجتمع الذي يعسر على جلّ الكتاب أن يتحدوا كل عراقيله ألا يقول كل شيء عن نفسه لأسباب نعتقد أنها أسباب اجتماعية ألم يقرّطه حسين وهو يكتب الأيام يقول مخاطباً ابنته : « ولو أنني حدثتك بما كان عليه أبوك في ذلك الطور الآن حتى تتقدم بك السن قليلا فتستطيعين أن تفرقي وتفهمي وتحكمي » (الأيام ص 146)

والحق أن حسين لا يخاطب ابنته ، وإنما يخاطب المجتمع فغطى آراءه ، ثم نجد طه حسين يتحدث عن طعام الإفطار في الغرفة التي كان يقيم بها في الربيع فيقول « إنّه كان إفطارا مصطنعا حين يشارك زملاء الشيخ الفتني ، وكانوا ثلاثة حيناً وأربعة حيناً آخر وربما الخمسة في بعض الأيام . ولكن لحامسهم هذا شأن آخر فالخير ألا يذكر الآن » وهكذا لم يذكره إلى الآن (كتاب الأيام ج 2 ص 23)

3 . التهرب من الجمهور الذي لا يستبيح الصراحة

إن كل ما يتصل اتصالاً جوهرياً بحياة الإنسان العاطفية والحب إما مقتضب حيناً أو ممدد فلقد تحدث طه حسين عن زوجته حديثاً فيه كثير من التحفظ وطبعه

بطابع التعفف والحذر قال في مذكراته « لم بدر كيف التوى به الحديث ولكنه سمع نفسه يلتقي إليها بما أنكره هو قبل أن تنكره هي . إنه يحبها ثم سمعها تحببه بأنها لا تحبه قال وأي بأس في ذلك إنه لا يريد لحبه صدى ولا جوابا وانها يحبها وحسب فلم تحبه وغيّرت مجرى الحديث وانصرف عنها بعد ساعة وقد استقرّ في نفسه أن حياته ستسلك مسلكا جديدا . (المذكرات)

ولئن اعتبرنا أن التصريح بمثل هذا الحبّ بعدُ موقفا جريئا في مجتمع يرى مثل هذا التصريح ضربا من الفضيحة ، فإنّ طه حسين لا يلبث أن يعتذر لدى قرائه فيقول « ولكنّ حبه يستحي حتى من نفسه فيذكرها ، وكان الفتى يخفي شعوره ذاك في أبعد ما يمكن أن يستقرّ في أعماق ضميره ، ويكره أن يتحدث به إلى نفسه وقد استيقن أنه لم يخلق لذلك الشعور وإن ذلك الشعور لم يخلق له . وأين هو من الحب منه » (مذكرات ص 73)

ثم نجد أحمد أمين قد ذكر حبه لسيدة انقلبيّة فلم يتجاسر على التصريح حتى بكلمة الحبّ إنّما اكتفى بقوله « كانت هذه السيدة الانقلبيّة تغذي عواطفى برقتها وجمالها وكمالها (حياتي الفصل 17) ثمّ إنه لا يوح بهذا الحبّ إلا يقول « كان يصعب عليها النطق بالعين فكانت تقول : إن عينكم تؤلمني وكنت أقول في نفسه مثل قولها (حياتي الفصل 17) ويتجاسر أحمد أمين فيقول « فعاطفه الحب كانت في أعماق نفسي ولكنها كانت مكبوتة حال دون ظهورها وسطي وكادت تربيتي تعدّ الحبّ فجورا والنظر إلى الفتات وحديثها اغواء شيطانيا . كل هذا لم يهين » لي مجالات للحب بل كبته في أعماق نفسي إلى أن انها ستبقى سرا مكتوما هائما مع أحلامي في ظلام الفؤاد ، وستبقى طيفا غامضا إلى الأبد أو إلى حين فمن يدرك ؟

مشكلة الجنس عند كتاب الترجمة الذاتية أكثر تعقيدا فلا نكاد نجد لها ذكرا واضحا . وإن ذكرت ففي غموض ، لا لأن العرب ليس لهم حياة جنسية لكن مجتمعهم الذي أوّل التعاليم الاسلاميّة تأويلات مختلفة غريبة ، جعل من قضية الجنس منطقة حرام . وعلى الرغم من ذلك نجد في كتب الترجمة الذاتية إشارات تشير باقتضابها إثارة تتوترّ معها الأحاسيس من ذلك أن توفيق الحكيم يذكر هذه

القضايا يذكر هذه القضايا مضيفا عليها السخرية والفكاهة لهدوء الجو ، وكذلك طه حسين آ فانه يذكر هذه القضايا الجنسية ذكرا عابرا مضيفا عليها مسحة من الفكاهة نابغة من المراءة والعادة السريّة التي يضع لها عنوانا رمزيا (أبو طرطور) فهو يذكر العادة السريّة ويذكر أيضا بأنها تضطرّ الأزهريين الذين يزورهم (أبو طرطور) إلى الاغتسال بالماء البارقي الصباح قبل الذهاب إلى جامع الأزهر .

أما عند الشابي فتجد هذه المشكلة في المذكرات عندما يتحدث عن الموسم تحترف الفن فالصراحة خاصية من نتائج طلب الموضوعية في الترجمة الذاتية إلا أنها على الرغم من الشوط الذي قطعه فيها أصحابها مازالت محددة المدى في الأدب العربي عامة وأدب الترجمة الذاتية خاصة ، والصراحة مرتبطة بالذاكرة وبالظروف الاجتماعية العامة ويموقف الكاتب من المجتمع الذي أظله .

فالصراحة في آخر الأمر صورة بهانفهم عسر تحقيق الموضوعية في الترجمة الذاتية ولئن كانت مشكلا اعترض كل كتاب هذا الأدب ، فهي ذات حدة خاصة لدى الكتاب العرب المعاصرون .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المراجع والمصادر

- 1 . الأيام والمذكرات لطفه حسين
- 2 . حياتي لأحمد أمين
- 3 . سبعون لمخائيل نعيمة
- 4 . أنا : عباس محمود العقاد
- 5 . رسائل : أبو القاسم الشابي
- 6 . الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث : دراسة شخصية لشرقي ضيف
- 7 . التراجم والسير : محمد عبد الغني حسن
- 8 . في السيرة : احسان عباس
- 9 . تطورات الرواية العربية : عبد المحسن طه بدر
- 10 . قنديل أم هاشم : يحي حقّي

د. حسين العوري :

النص الأدبي أكبر من المناهج الشكلية*

بقلم : فتحي أولاد بوهدة

التقديم : ظللت مرة بعد مرة أرغب في الوفاء لقرءاءة " الإنحاف " الغراء بما اعتبره بيني وبين نفسي دينا . وما رأيك في بسط بعض من الآراء المهمة أدلى بها الأستاذ الجليل حسين العوري ، وهي آراء كان الحوار حولها بسبب من دراسة مهمة مازالت مخطوطة وسمها الأستاذ بـ " تجربة الشعر الحر في تونس حتى نهاية 1968 : دراسة في الأشكال والمضامين " .

وقد حرصنا كالعادة على أن نلازم بين محتوى الإجابة وما هو مطلوب فأغضينا عن الأسئلة ووضعنا لكل فقرة جملة تقريرية تقوم منها مقام العنوان .
التاريخ الأدبي ليس والدراسة النقدية ليس :

لم يكن التاريخ الأدبي هدفنا الأول من هذه الدراسة لذلك لم أراع جميع مقتضياته كما لم أراع تطوّر المراحل الأدبية وتربطها في نطاق السياق الاجتماعي والتاريخي وإذا كان من الحق أنني نلت شيئا من هذا باعتباره راقدا مساعدا على خدمة الهدف الأصلي : الدراسة النقدية الأثنية التي تنال مرحلة واحدة في أبعادها العميقة ، وهي لذلك ، لا تكتفي برصد الظواهر في تطوّر العام المفصل على الزمن كما هو الشأن في تاريخ الأدب ، وبناء عليها فدراستي تتعلق بمرحلة مخصوصة تتكامل مع مراحل أخرى تولّاها دارسون آخرون منهم مصطفى الكيلاني في " اتجاهات الشعر التونسي الحديث " وعبد العزيز قاسم في " واقع الشعر التونسي من سنة خمسة وخمسين وتسعمئة وألف إلى سنة خمس وستين وتسعمئة وألف " وهو كان قد

أسّنا هذا الحوار على فصول من دراسة مخطوطة للأستاذ حسين العوري :
« تجربة الشعر الحر في تونس حتى نهاية 1968 : دراسة في الأشكال والمضامين »

* في أن المنهج ذوب من ثقافة الدارس ومقصده ودواعي النص :

نبدأ بتعريف الشعر باعتباره ضرباً من الكلام مخصوصاً ، وفي هذا مقارنة ضمنية بين ما هو شعر وما هو نثر ، ولكن كلاهما يتكى ، على توظيف نوعي للغة ، فإذا كان يقصد باصطناع اللغة في النثر المعرفي العلمي التواصل فأنها - اللغة - تقوم في الإبداع عموماً وفي الشعر خصوصاً بمهمة الرمز والإيحاء ، وهذا هو وجه تفسير قول القدامى (الشعر هو إخراج اللغة غير مخرج العادة) ، وهو قول لا يهدي عن فرق كبير بينه وبين ما يسميه الأسلوبيون اليوم : الإزباح : L'ECART أو العدول كما أراد عبد السلام المسدي ترجمته متكناً على المعجم العربي القديم ، والملاحظ أن المفهوم يعد مفهوماً استغراقياً بحيث يمكن سحبه على الشعر قديمه وحديثه والعدول بهذا المفهوم ، له حدود إجرائية من جهة علاقته باللغة الأدبية ، فهو لا يبطال اللغة باعتبارها سنناً اجتماعياً مقرر القواعد بل يبطالها من جهة أنها كلام وتصرف فردي في ذلك الرصيد المشترك (2) وأهم هذا التصرف ما تعلق بنا ، الصورة الشعرية والإبداع وهما أهم مركبات هوية الشعر ، وهكذا فإن التفكير في المنهج اقتضائي التفكير في طبيعة المادة المدروسة لأن المنهج مشتق من تلك الطبيعة ملائم لها ، ولكنها ملائمة ليست مطلقة أو تضع في اعتبارها أمراً آخر مهماً هو مقصد الدارس ، ومقصدي ، أنا ، من هذه الدراسة تقاطبته مشاغل عديدة أهمها :

- 1 - دراسة مدونة الشعر التونسي الحر ضمن فترة محدودة باطار ثقافي أدبي عام هو مدونة الشعر العربي منذ بداياته في شعر التأسيس الجاهلي إلى سنة 1968 ، وهذه المدونة الواسعة شهدت طفرات من التحول منها ما نسميه اليوم شعراً حركاً ، وهو المجال المخصوص الذي تندرج فيه مدونة دراستنا .
- 2 - دراسة هذه المدونة في إطار تجربة الشعر الحر المشرقية انطلاقاً من السؤال التالي : هل كانت مدونة دراستنا مجرد صدى للمدونة المشرقية ؟ وإلا فما مدى تميزها ؟ وما مظاهر ذلك ؟

ومحصل الأمر أَنَّ المنهج اقتضاه ، يدعو إليه كُلُّ نصٍّ على حدة ، وهو كيف مخصوص من ثقافة الدارس مستقطبة بالنص موضوع الدرس .

* في أَنَّ النصَّ أكبر من المناهج الشكلية :

إنَّني على مثل اليقين بجدوى اصطلاح منهج الدراسة الأدبية المتكامل لأنَّني مقتنع بأنَّه لا يمكن لأيِّ منهج مهما كان سداًه أن يزعم الإحاطة ، وحده ، بظاهرة النص الشعري ، وهي ماهي ثراء ، وتطاول أبعاد ، والأسلوبية ليست منحى واحداً بل هي متعدّدة بتعدد أعلامها منذ شارل بالي إلى ريفاتار ، ولكنَّها في معالِمها المشتركة ترتكز على الظواهر اللأفتة التي يضيفها مبدع من المبدعين إلى النص الأدبي بصفة عامة . وأنا لم يكن غرضي محصوراً في هذا النحو من النَّظر بل اقتحمته إلى الإستئناس بالنبئية في معناها العام الذي يقرَّر بأنَّ النصَّ نظام من العلاقات المتكاملة كالنسيج المعمول على حدِّ عبارة الجاحظ (2)

وهذا المفهوم ، في الحقِّ ، يمثِّل رصيد التآلف والتشارك بين سائر المدارس اللسانية ولم تتمكَّن مدرسة ما من تغادي الإفادة منه على نحو من الإنحناء وإن كان لكلِّ مدرسة قننٌ خاص لكيفية النظام وتحليله . ومعنى الإستئناس ، كما يلاحظ ، لا يتفق ومعنى التقيد المطلق ، لذلك لم أحصر نفسي في هذا المنهج أيضاً ، فلم أقدر النصَّ كونا من العلاقات ، مكتفياً بالإغلاق على ذاته ، والنبويون أنفسهم حاولوا الخروج بالنبئية عن مسارها هذا ، ولعلَّ خير ما يقدم من دليل على هذا ما فعلته جماعة Telquel في فرنسا عندما إبتدعت مأسسته بالنص وهو انفتاح النص على نصوص أخرى ، أي خروجه من شرنقة اختصاره في نظامه كما كانت تزعم النبئية في مفهومها القديم (3) ومجمل ما أراه في هذا أَنَّ النبئية والأسلوبية ، وهي إحدى فروع النبئية ، تظللان عموماً من وسائل الدراسة الشكلية ، ولذلك فالنصُّ أكبر منهما لأنَّه مشدود إلى جوانب أخرى لا يمكنهما ضبطها ، تلك هي ظروف نشأته من تاريخ وحضارة ولا وعي المبدع ، فلا يمكنني مثلاً أن أدرس قصيدة (تازركة) لمحمد العروسي المطوي دون أن أفتلها في إطار المحنة التي عاشتها هذه القرية إبَّان الإستعمار وكيفيات قابلية المطوي للتأثر بتلك المحنة وتوظيفها شعرياً .

* في أَنَّ الوزن العروضي يهيء مجرى الإيقاع وليس هو الإيقاع كله :

من المفيد أن نقر بأن الإيقاع مفهوم لا يتعلق به خلاف بين الدارسين وهو التكرار لظاهرة سمعية أو بصرية على مسافات متقاربة . والتكرار بدوره يولد الانتظام في ترتيب تلك الوحدات المتنامية ضمن مدد زمنية دقيقة الضبط والتعاقب، وإذا أنزلنا دور الوزن في هذا الإطار تبين لنا أَنَّ الأوزان الشعرية هي المجرى الذي يولد الإيقاع ولكنها ليست الإيقاع كله ، ذلك أَنَّ الإيقاع نوعان : داخلي ممثل في البنية العسقية / الدلالة وأبعادها ، وخارجي ممثل في البنية السطحية / الوحدات العروضية في هذا السياق .

ولئن أقررنا بأنَّ الوزن يهيء مجرى الإيقاع فإنَّ المطابقة بينه وبين الكلام يخون الفعالية الشعرية ، وبعبارة أخرى : إنَّه لا يمكن المطابقة بين الوحدة الوزنية والدقة الشعورية إلاَّ عفواً ودون تدبير ، وبذلك فالوزن جزء أساسي من الإيقاع الظاهر يفتح باباً لإيقاع أشمل منه يستمد حقيقته من كيفية بناء اللغة وتوليف أصواتها ووحداتها التركيبية (4)

* في أَنَّ النثر تبع للفعالية الشعرية
قضية النثر أثارها المستشرقون وأذكر منهم خاصة الألماني (فايل) فقد ذهب في مقالة له بدائرة المعارف الإسلامية عنوانها (عروض) إلى أَنَّ الخليل بن أحمد لم يضع الدوائر العروضية إلاَّ ليقرر حقيقة يتميز بها إيقاع الشعر العربي هي أَنَّ الوند المجموع في كل بحر هو الذي يحمل النثر ، وهو ضغط على المقطع الثاني من ذلك الوند لأنَّه المقطع الطويل .

وهذا كلام معقول من الناحية النظرية ولكنه على غير ذلك من جهة الإجراء ، فنحن لا نقف على صحة هذا الرأي إلا متى قرأنا أوزان الشعر العربي قراءة عروضية أمَّا إذا جاوَزنا ذلك إلى محاولة رصد الفعالية الشعرية اتضح لنا أَنَّها نظرية مخففة ، ولتقدّم على هذا مثالا :

قال امرؤ القيس (الطويل)

مكرّ مفترّ مقبل مدبر معاً كأنّه جلود صخر حطّه السيل من عل

تطبيق قاعدة فايل يعطينا الصورة التبرية التالية :

مكر*رن مفر*رن مقبلن*مد برن*معن
فعو*لن مفا*عيلن فعو*لن مفا*عيلن

كَأَنَّهُ جَلُودُ صَخْرٍ حَطَطَهُ سَبِيلٌ مِنْ عَلَنٍ.

وهذا يناقض الفعلية الشعرية لأنه يجعل من الأوزان مقاييس حاسمة في تحديد ظلال الدلالة ، وخير من ذلك أن نراعي أولاً مقتضيات هذه الدلالة فنخضع لها التبر على النحو التالي :

مكر*رن مفر*رن مق*بلن*مد*برن*معن
فعو*لن مفا*عيلن*فعو*لن*مفا*عيلن

كَأَنَّهُ جَلُودُ صَخْرٍ حَطَطَهُ سَبِيلٌ مِنْ عَلَنٍ .

والملاحظ هنا أن نظرية (فابل) تصحّ على التفعيلتين الأوليين وتخبب ، حسب قراءتنا في باقي التفعيلات ، لأن النظرية شيء وواقع النص شيء آخر ، وهذا يعني أن نبر التفاعيل هياكل جوفاء من المعنى لا يتطابق مع الفعلية الشعرية مجسدة خاصة في حيوية اللفظ واقتضاؤه الدلالية .

الإحالات :

1- يشير إلى مراتب الظاهرة اللغوية وهي ثلاث :

أ - اللغة : وهي القدرة الكامنة على استعمال العلامة اللغوية ، وهي لذلك ذات طبيعة إنسانية كونية .

ب - اللسان : وهو السن والقواعد اللغوية ، وهو يختلف على الأمم

ج - الكلام : وهو تصرف لذلك السن لذلك فهو يختلف على الأفراد .

والجدير بالملاحظة أن الأسنبيين التونسيين مختلفون في استعمال هذه المصطلحات وهذا القلق المصطلحي ظاهر بمقارنة عبد السلام المسدي في " اللسانيات وأسسها العامة " وكل من الطيب اليكوش ومحمد الجلاصي في (الدروس العمومية) بالمعهد الأعلى للتربية ، ويعتذر عز الدين المجذوب لهؤلاء بالمرحلة التاريخية وبرايتهم من التقصير الذاتي (راجع عز الدين المجذوب - سلسلة الدروس العامة - اللسانيات

AR 204 أبريل - سبتمبر 1994 . ص 57)

* * *

2. من منظور اللسانيات ، هذه العلاقات صنفان : العلاقات السياقية Rappports syntagmatiques ، وهي علاقات أفقية حضورية ، تقوم على وحدات لغوية متواجدة في السياق وفي نفس الآن كالإسناد والإضافة والتقنية ... والعلاقات الجدولية Rappports paradigmatiques وهي قائمة على الغياب والانتقاء بحيث يذكر العنصر اللغوي الحاضر في السياق فيذكر بالعنصر الآخر المركوز في الذهن وله به علاقة على نحو من الأتقاء الصوتية أو الدالية ...

وقد تطوّرت البنيوية فكّفت عن إختزال النص في نظامه وحده .
3. مفهوم البنيوية يستند في أهم جوانبه إلى معنى البنية ، وهذه يمكن أن نعود بها في معالها الرئيسية إلى أنها شبكة من العلاقات تشدّ عناصر الموضوع بعضها إلى بعض وتكوّن وحدته .

ينظر : د. زكريا إبراهيم = مشكلة البنية - دار مصر للطباعة . د . ت . سلسلة مشكلات فلسفية عدد 8 .



4. يلاحظ القارئ المهتم أن حديث العوري سياقه هنا هو الإيقاع المتصل بالشعر العمودي والأفائه يقول في إيقاع الشعر الحر : «أما إيقاع الشعر الحر فالتانون العام المتحكم في توليده إنما هو التماثل والانتظام لأن الشاعر الحديث اتخذ من التفعيلة وحدة إيقاعية بدل البيت وتصرف فيها على نحو نجم عنه تفاوت في طول الأسطر الشعرية فكان عدم الانتظام أفقيًا وهذه الظاهرة تلاحظ على صعيد القافية التي إنتقلت من الوحدة إلى التعدّد >>
حسين العوري . م . س . ص 32 .

قراءة نقدية

« تجلّبات الرفض والخروج من التيه »
من خلال « طعم الأناناس » لمسعودة بويكر

بقلم : محمد بن عبد السلام *

صدرت بدعم من وزارة الثقافة مجموعة قصصية على قدر كبير من التجريد للقاصّة والصحفيّة التونسية مسعودة بويكر وهي بعنوان « طعم الاناناس » تضمنت ثلاثة عشرة أقصوصة آخرها عنوانا للكتاب نفسه وقد صدرته المؤلّفة بقولة لفيد يريكو غارسيا لوركا أريد للصور التي أستمدّها من شخصياتي أن تفهمها الشخصيات نفسها »

وهذه القولة تكشف انصهار ذات المؤلّفة داخل شخصياتها على غرار ما ورد على لسانها في نهاية غلاف الكتاب « بانعة الحمص ... طفل مابعد الحصاد ... أريقون ... ماسح السيارات ... الهذبة ... هؤلاء أنا ... وأنا هؤلاء » تتوحد مع تلك الشخصيات تعانقهم وتبشهم ثورتها واحتجاجها كأنها ثورة لوركا وناره التي لا تخذ .

وقد جاءت تواريخ كتابة القصص متفاوتة تنحصر بدون ترتيب بين 1986 / 1991 عايشتها دون كلل ثم نسجت أحداثها في نسيج قصصي تكاملت فيه عناصر الزمان والمكان وحبكة الأحداث وتصوير الشخصيات .

1 . مضمون الكتاب :

ذاكرة مرة تحملنا معها مسعودة بويكر إلى مشاهد تستلهم وقائع اجتماعية متعددة ربما عايشتها الكاتبة أوقدت من خيالها لذلك جاءت الشخص في ثنايا القصص مكشوفة المواقع في عاداتهم وأوضاعهم وأخلاقهم (المرأة والعمدة في قصة قريتي) .

* أستاذ مجاز في اللغة والآداب العربيّة ، جامعة بغداد .

وتبدأ الرحلة من موسم جني العنب فتعدد الأحداث والأمكنة والأزمنة وتتكاثر الأسئلة مزدحمة حينما تبحث عن ملاذ داخل موضوع واع في النص فتشكل رسماً تصويرياً حاضراً بصورة مبشرة (1) ثم تتشال طوراً محدودة بلحظات زمنية وأمكنة محدّدة فتجعل القارئ منذ البدء في حيرة مطلقة متردداً لجذبه أسئلة كونية تحدّد علاقة الإنسان مع الزمن والمكان « ما الذي جاء بك إلي؟ أين أنت مسافر أيها الفتى؟ ... هي حيرة يتوحد فيها ضمير المخاطب الغائب عبر معاناة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصيات شقية مستقاة من سياقات اجتماعية شائعة داخل مجتمعاتنا العربية وتبدأ الصورة كاشفة لهذه الأنماط الاجتماعية مع زوجة الأب وصورتها الشاردة بصيغ أظافرها وجسدها الشقي تستفز رجولة الفتى » أحس كأنما طعنت رجولته المستفيضة بلا مبالاتها « ص (4) بلغة قاذرة ساخرة نجثم عليه ونمزقه » كبرت الفراخ - يا ابن فلانة « ص 5 وعبر هذه التداخيات تنطلق اللغة قلقة فتحمل سياق الأحداث إلى وقائع يتزاوج فيها الحلم بالواقع « أنا ذاهب لجني العنب يا سيدي » ص 5 فتتشظى الأفكار عبر انتقال القول من شخصية إلى أخرى بموجب خيال أحناء تأخذنا معه الكتابة إلى سفر الجسد في المكان والزمان فينحرف الواقع وتتكشف الحقيقة صراخاً متورّماً داخل النص لتسجيل وشائج أسرية عادة ما نلامسها في كل أسرة بهجرها إبتها وتنخرط اللغة في عملية التسجيل والكشف فتستنتطق مسرح الأحداث بدءاً التي تعيشها الأسرة بين الأب والام وبين زوجة الأب والابن الذي قرر السفر إلى إيطاليا بعد عزله داخل الأسرة يجذبه حلم بانس لتتغير أوضاعه ويبقى الحلم لديه مشدوداً إلى الماضي « وتخترن في خياله تفاصيل الليلة الماضية » ص 10 وتبقى صورة المرأة مرفأً لإستراحة أنفاسه المكبوتة بدءاً من امرأة أبيه ذات « الشوب السكري والجسد النصف عاري » تعاضدها رفيقة السفر المرأة الإيطالية التي « تنبئ عن حمى اللذة أبحر فيها بين ذراعها » ص 9 وتتدادى المؤلفة في وعيها الحاد بالأوضاع الاجتماعية لتنتهي إلى كشف ستائر المكان « وتبديد الحلم لهجوم الواقع » (2) بكل تساؤلاته وأجوبته المركّة تتجمع في مقاطع سردية وأخرى حوارية تكشف عن هوة تغوص في عادات وأخلاق المجتمع التونسي في مستوى التعاملات والحياة اليومية المباشرة ويبرز ذلك

خاصة في تتبعها لحركة الشخص في مواقعهم وهذه التسجيلية تعكس فوارق طبقية تمثلها بالأساس شخصية المرأة الساذجة في علاقتها بمن هو أرفع منها شأنًا وهي تبدو وكأنها « امرأة على أعقاب الشيخوخة أو وهي تبدو كذلك لما بها من هزال » ص 12 . هذه الصورة لامستها المؤلفة برؤية واضحة ربما كانت قريبة منها في هذا التصوير الدقيق والرصد التراجيدي لحالتها الاجتماعية التي أصبحت بمثابة النشاز حتى في علاقتها بواجهة الملاط » بدت له نشازا يشوه منظر الواجهة حديثة الملاط » ص 15.

وتتسلل أبعاد السخرية في النص فتوسع دائرة المعنى لتكشف عن هذه القطيعة بين المسؤول والعجوز حيث يمثل الأول واقعا طبقيًا يخضع لإضاعات ورموز معينة بينما تبدو الثانية مغلوطة على أمرها لا يذاع سرها إلا بفعل أمر زجرا وسخطا « انهضي يا عجوز وعودي اليه عندما يرجع - عندما يرجع سيدي الحاج ! » ص 16 وتتصاعد احتجاج المؤلفة أكثر في تقصيصها لجملة من القيم الاجتماعية والممارسات اليومية المباشرة فترسم صورة مرثية تختزل واقعا مظلمًا يتشكل من خلال حلم الصبية التي تتألم من خلال صورتها العالي « يعلو صوت الصبية » ص 18 وكأنه صدى صرخة المظلوم أو الجائع الذي يصارع يومه بهجومه وشكواه ويبدو أبطال هذه القصة [بآنعة الحمص] مشتركين في القلق والتوتر من أجل إماطة الغيب عن لقمة العيش القاسية حتى المكان الذي يتحوطون فيه بحسب له ألف حساب » ص 21 خوفًا من سيارة مراقبة الباعة فيرتججون إلى الوراء وتتغير حركاتهم التي خيبتها الأمل أمل الارتزاق فاكثفت بالهذر والسخط إلا أنهم لم يفشلوا في اختراق جدار الظلمة واستراق أنظار المشتريين وظل الأمل معلقًا بحثًا عن الذات في يوم آخر « سأنقع الليلة نصيبًا آخر من الحمص والبقول » ص 26 وبهذا الانتفاخ أرادت المؤلفة أن تشرك القارئ في المجتمع بكل ما يحمله من صراعات وتناقضات يقينا بأن كل قارئ هو الأنا الذي يأتي من علاقات القرى الرمزية في النص وهذا ما كان معلنا في نهاية الكتاب أن كل الشخصيات المرسومة فيه مستمدة من ذات المؤلفة نفسها « بآنعة الحمص طفل ما بعد الحمص .. أريقتون .. هؤلاء أنا.. وأنا هؤلاء » [3] .

2. لعبة الضمائر وخطاب الأنا

كثيراً من القصص هي تلك التي تلجأ إلى تقنية الضمائر القديمة المستحدثة في القصّ والرواية وعادة ما يلجأ القاص لهذا الأسلوب رغبة منه في كسر جمود السرد ورتابته ولم تغب المؤلفة عن هذه النمطية في الأسلوب تختفي به من وراء أبطالهم فتحرّكهم أبان ومتى شاءت .

« تحسّست بأطراف أصابعك منابت الشاريين » ص 27 وهذا الأسلوب يجعل المؤلفة تعيش مع البطل نفسه فيصبح الخطاب للأنا الذي تتجلى من خلاله الواقعية الحقيقية من خلال « وصف أمين لشرائح المجتمع » [4] كما تدفع بخيال القارئ إلى أن يعيش لحظة مكاشاة صادقة لنفسه بكل تجاربها من خلال اندماجه مع الشخصيات التي تعيش حياة كلها خواء ورتابة يتفاوتون في قدرة انسجامهم مع الحياة كل له علاقته الخاصة معها « تفرضها ضروريات العيش لذلك كان ارتياهم عسيقاً بأي شيء » [5] حتى في روايتهم العائلية والعشائرية فهم يغيبون وعيهم دلالة على العجز وعدم القدرة على معاينة التناقضات « أولاد بوزيد ليسوا بأفضل مني أليست رجله الوحيد ؟ بلى إني لكذلك وإلا ما لمعت في عينيه تلك الفرحة التي بدت على محياه حيث غلبت أولاد بوزيد في لعبة الورق » ص 28 وعلى الرغم من هذا التناقض الحاد بين الشخصيات فإنهم يعيشون مكاناً واحداً ومصيراً واحداً ووعياً واحداً في « العجز والرضى بقاعة الدرس السيبيرية وعلبة الوقيد الفارغة » ص 31 وتتكاثر اللوحات التصويرية ترسمها المؤلفة عبر خيالها فتحملنا إلى قاعات الدرس وما حولها في أحداث وانطباعات متداخلة بجملة من الهذيان وفي هذا السياق تنكشف المواقف والقضايا كقضية الصراع بين المدينة والريف والانتماء إلى الأرض والتشثيث بجذورها فتبسط المفاهيم بساط السرد المشبع بالتأملات والخواطر « نعم الرجل الرجل من عاشر هذه الأرض المنبسطة وذل وعورها وصخورها ، الرجل من فاح ذراعه عرق الغلبة والصراع » ص 35 وتستوقفنا في الصفحات الأخيرة من قصة « طفل ما بعد الحصا » صفحات من التاريخ جعلتها المؤلفة رموزاً متحركة مليئة بالاحتجاجات « الدولة الصنهاجية يا أبي .. الصنهاجية ! ... » ص 35 فإذا بالقارئ مشدود بخياله إلى تاريخ تونسي عريق

زمن « الدولة الصنهاجية » وإذا بطبيعة السرد تشتط فيه قدرا من التيقظ ورصد الكلمات لغة ودلالة لأن خاتمة النص « أبدا لن تعيد الدولة الصنهاجية خرافي .. لن تعيدها .. » ص 37 تخلق فينا كما هائلا من الأسئلة الرمزية التي تحتاج إلى صفحات من التأويل والقول .

3. الأبعاد الرمزية في النص :

ترصد المؤلفة خطوط التناقض الانساني عبر هندسة لغوية تعري من خلالها الواقع المساوي للإنسان بعيدا عن جماليات المجاملات أو الأوصاف الساقطة فتتصّر الواقع كتبصر جغرافية العالم لمواقع الأراضي الممتدة بل تبدو في تحليلها للمعضلات والمفارقات الإنسانية إنها تنتمي إلى ما يسمى بجيل « المدرسة الحديثة » [9] في استكشاف مآسي أبطالها وتسلط الضوء عليهم من خلال أسلوب الرمز المضر تغوص داخل رغبات شخصياتها داعية القارئ إلى تأمل واقعه من خلال تلك الشخصيات « فالصرار » يحمل دلالة الانسان المتواكل على غيره واللامبالي بالحياة همه إلا الغناء والرقص بالمقابل كان النمل رمزا للإنسان الجاد الذي يضيء حياته سعيا وراء لقمة عيشه وفي هذا الرمز دعوة واحتجاج على هؤلاء المنهزمين والمقعدين في مقاعدتهم يترقبون من القدر أن يذّر عليهم سلة من ذهب أو صاع من فضة ولكن « الربيع لا يزهر في دواميس الأرض بعيدا عن نور الشمس ... » ص 63 وإذا نظرنا إلى هذه الرموز تبدلنا حيلى بظواهر اجتماعية قائمة تحمل في طبيعتها مفهوما طبقيا للمجتمع تتوزع رغبات الانسان فيه بين محب للعمل ومتقاعس عنه وهنا يحق لنا معرفة نوعية البطل الذي يجسده الكاتبة في قصة الصرّار وغيرها . وهو بلا شك ذلك البطل الراض للتحول والكل « ليس خليقا بي أن أرحل رحيل الموج وأقبل نهايته ؟ ، ... فما أكثر الشيطان الصخرية التي تنكسر عندها الأمواج المرهقة ! ... » ص 63 . النملة وحدها هي التي حركت فرسبط لكي يصبح مبدعا فكيف لا تحركنا نحن من مواقعنا ، إن هذا الأمر يجعلنا نعتقد إلى حد اليقين أن المؤلفة تتحدث عن نفسها بكل تجرّد وتخطب القارئ بكل تواضع للتطلع والكشف كذلك كانت في قصة « الشجرة والصبية » رغبة جامحة للتعرف وتعطشا كبيرا لاستجلاء السرّ العجيب « سر شجرة مدام سلفادور » ص

70 فلا مكان للفشل والرضا ، والاستكانة وتتجواب شخصيات هذه القصة مع شخصية « أريقون » الذي « لم يمقت في حياته أمرا كالوداع » ص 77.

ومن هذه الذروة المقعنة بالركض لما هو موجود تأتي قصة « اليوم أعلن الشغب » ص 79 لتعلن بدورها عن تجربة أخرى لشخصية سُمّيها المؤلفة « الكلبوسي » وهي عبارة عن صرخة مؤلة في أعماق الانسانية تحيلنا إلى مشاكل العمال ومطالبتهم بحقوقهم رافضين كل مظاهر الاغتراب والمواقف التقليدية للعمل لقد رفضوا الاعراض عن حقوقهم فطالبوا بالعيش السعيد « إن حقي ، ... سأطالبه بحقي الذي غفل عنه أو تغافل ، » ص 85 رفضوا ما هو شائع من استغلال للحقوق وهضم لها ومن خلال ذلك تحاول المؤلفة أن تسلط الضوء على الصراع الذي كان قائما في مرحلة تاريخية سابقة بين العمال وممرسات أصحاب المصانع ضد حقوقهم المشروعة . إن المؤلفة تعرّي تلك التناقضات الموجودة وتشخص بكل دقة الاغتراب الانساني في حياته الداخلية والخارجية ومن هنا تلتقي خطوط هذه القصة في مستوى سرد الأحداث فتبنى بناء مشوشا تعيش فيه الشخصيات في جو من القلق والخوف من محاوراتهم يشرقون نهارا « أبي الدنيا » الذي ظل صامتا حتى بدء المعركة وعلى الرغم من حدوث هذه الواقعة التاريخية المشهودة والتي حاولت الكاتبة أن تراجعها فإن الحبر التاريخي لم يعد له تلك الأهمية التي كان عليها سابقا لأن ما يهمنا في تناول النص في أغلب الأحيان هو كيف بنت الكاتبة الحدث وسجلته ثم كيف استطاعت عبر خطوط السرد والوصف أن تنسج إلى نفوس القراء بلا صعوبة ؟ وجُماع الأمر فإن لغة المؤلفة أريج عبق يشد القارئ إلى واقعه يحاكي مشاكله اليومية المتأصلة في البيت والشارع والعلاقات المتزاحمة بين الناس .

إن قصة « الهذبة والعيفة » ص 100 تحمل في طياتها هذا البعد الاجتماعي العميق الذي يحرك فينا الخواطر والهواجس ولن تتوانى المؤلفة عن هذا الغوص العميق في أكبر التناقضات الانسانية فتحتج صارخة نافذة لمرحلة تاريخية عمت البلاد التونسية « بعض الجدران انشطرت لتبرز منها جحافل بشرية لها صخب قطعان الثيران ... » ص 116 تخترق جدار الصمت لتبدد ظلمة القهر « من أجل

القليل الضروري ... الضروري فقط » ص 118 .

إنها هجمة جريئة على واقع سائد غاصت فيه المفاهيم في قيعان الوحل واغترت فيه الذات حتى أصبح طعم الاناس فيه مستحيل .

الشكل الفني:

عندما نعيد قراءة قصص مسعودة أبو بكر نجدها قصصا موجزة وبسيطة مصنوعة بذكاء عن طريق إقتناص حادثة إجتماعية عابرة تختار لها شخصيات طريفة تقدمها بطرق خفية متنوعة تثير من خلالها احتجاجا على واقع معين إيمانا منها بأن الأدب هو « تعبير عن الواقع تعبيرا فنياً جمالياً متكامل فيه جماليات الحوار والسرد ورمز الشخصيات » [10] وتلجأ المؤلفة أحيانا إلى عنصر التشويق داخل أحداث القصص عن طريق الخيال [قصة بين ضوءين ص 38 - وللتحقيق ص 48] فتجعل الشخصيات حاملة في هدوء تام يرتاح له القارئ إلى أن يصل إلى « مرحلة التنوير » [11] حيث يستزيد ويريد أن يعرف نهاية القصة وخلال المرحلة السابقة يعيش القارئ من خلال ذلك الحلم مع الشخصيات المطروقة برصد انتقالاتها وسلوكياتها وفي ذلك تعني الكاتبة بكل التفاصيل الدقيقة في رسم الملامح الصادقة للشخصيات ومواقفهم [شخصية بائعة الحمص - طفل ما بعد الحمص] وتعدو تلك التفاصيل فتأثير قصصها ففي كل قصة تطيل التفصيل مثلما فعلت مع شخصية « بائعة الحمص » في تجسيد تتابع حركاتها التي تعكس حالتها النفسية والحسية . « ترفع عينها إلى مدخل السوق تلمع الزحام فيتصاعد هتافها ليتحد بخضم النداءات الأخرى ... » ص 17 وتظهر العناية نفسها في قصة « طفل ما بعد العصا » : « تعض على شفتيك السفلى ، ترمق جميع الأعين المحدث بك دون أن ترمش ، يقطر الغبط صدرك ... تصرخ فيهم ! - اهبطو - ص 33 ومن خلال هذه القصص تتوزع المشاهد مأساوية تبحث عن متنفس لها داخل تقاليد العصر وقيمه الاجتماعية .

إن القصة عند مسعودة أبو بكر تعرية للواقع ونقدا له تغوص في أدق الجزئيات فتضيء الببوت المظلمة وتكشف العلائق الانسانية على مسرح المجتمع تواجه تناقضاته وتستكشف حدوده للخروج من عتمة الظلمة التي يعيشها الفرد

رغبة في فسحة من الحرية وإحساس بوجود الذات عن طريق « رؤية الواقع عبره وحرارته » [12] .

الهوامش :

- 1 . د . رضوان طاحا : عالم المعرفة : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي
- 2 . مسعودة أبو بكر : طعم الاناناس .
- 3 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 304
- 4 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 218
- 5 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 229
- 6 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 229
- 7 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 234
- 8 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 237
- 9 . د . خالدة سعيد : حركة الإبداع : ص : 277
د : عبد الله بدوي .
- 10 . د : محمد محسن عبد الله : الأدب وروح العصر : ص 195
د : أحمد فوزي ، الهيب
- 11 . المصدر السابق : ص 196
<http://Archivebeta.Sakhr.it>
- 12 . د : خالدة سعيد : حركة الإبداع ص 276



على تخوم البرزخ

فصل ثان

بقلم : المحسن بن هنية

حاق بي ما كنت عنه أحميد ، الأرض بي مادت وتخلت وأذنت بانتفاض الجبل
وانشقت عن هوة مالها قرار ... في لمح البصر ، اندثر الحذر ووقع الواقع . ولم يعد
له دافع . كبر الفزع فجاء صيحة مني « الله أكبر »
في بحر من الحديد مصهورا ألما وعذابا . سفودا من شظايا النحاس المحمي
حدّ الإصفرار ، سحب من كل شريان فيّ ، بالحجم ملئت أحشائي ملاقيط من نار
تقتلع عينا من محجريهما ، وفي المطاحن عظامي تطحن .
ألم يرتقي فوق ألم . هذا يعتدّ والآخر يتجاوز حدّة ، حتّى انتهى إلى مافوق
الألم ، فلم يعد للجس جس بالألم . انتفى الوزن ، انعدام الجذب إلى الأرض
تصاعدت مع الدخان والغبّار ... تجرّوت من الملموس والمحسوس ... تخلصت من
أسباب الطين والأملاح والحديد والماء . خرجت من دائرة الشئ ، إلى اللاشيء . خلصت
إلى جوهر غير أنّ شعرة من الألم تشدّني إلى أسفل . حيث أهقوا أكون ... هفوت
إلى الملأ الأعلى اخترقت الأكوان والمجرات ... والأقمار والشموس والكواكب مبثوثة
عن يميني وعن شمالي ، لي حس بالنشأة الأولى ، حس يشدّ إلى الأرض ... حس
آخر . فوق الطّباق على تخوم الحجب . من وراء الحجب خرج عليّ هول من دخان كأنه
طيف من الجحيم ... رأسه عرض المجرات والأكوان ... عيونه من كل جانب ترمي
بشرر كالشمس حرارة وتوهجا . أفواهه كالثقب السودا . في نهايات الأكوان ...
أسنانه كالنيزاك من أكبر مارأيت . لعله قدّ بشواظ من نحاس وتار . أوحى لي إنه
عقائيل . وأن عليه حسابي ، وأنه لظرف عصب ، ثم بدأ فأوحى لي بالسؤال :

نشر الفصل الأول بمجلة الالتفات عدد 108

أرأيت لو أنني نفخت على ما مريك من عوالم ومجرات .
لدكة ذكة واحدة . لبعثرت لمجوما . واختلت موازيتها
فهي واهية متتاثرة فلا ترى لها باقية ...
فمن يحببها ويعيدها سيرتها الأولى .. ؟

لولا ما يشدني إلى الأسفلين لكنت أشد منه قوة وأضخم منه طولا ... ثم لأرجعت
عليه الوحي . بأنني أنا هذا الذي كرمت عليه . وانه من الحارين الساجدين لمعجزتي
. وأنني لست من المأمورين وأنني أحمل أمانة الاختيار من بين الخلق المنظور منهم
وغير المنظور . وأردّ عليه منّي الوحي .

يحببها ويعيدها الذي خلقك وأنشأ النشأة الأولى . أليس هو القادر على أن
يعيد لها موازيتها بالقسط . وأقدرها بالحق أليس من خلق قادرا على أن يخلق
مثلما خلق .. ؟

تقهقر ... تقدّم ... الشور من عبيته خفت ... شدّ عليّ من كلّ جانب ... لو
كانت لي عظام لسحقت أو أنفاس لخنقت أو عيون لسلّمت . كأن السموات يمينه .
فأطبقها على حيزي . انعدم المجال مني . فتحجّمت إلى عدم . تلقيت أمره لي
زجرا وذمّة ووجبا بالحنس .

ظلوما جهولا كمثلك مخلوق . خبرت بين الحق والباطل . أكلت التفاحة فكنت
كفوراً غير شكور . علمت ما لم أعلم . جددت بنعمة الأسماء ... فحق عليك
التراب والماء .

هل النقص مني أم في خلقي .. ؟ رفضت الجهال الأمان فحملتها .. أذلك نقص
فيّ أم جهل مني أم حسبتي على نقص ولست المتنقص أو محاسبتي على جهل وهو
كامن في نقصي . أنا المستزير رغبة في العلوّ .. والعجز ليس مني ولكن في
خلقتي . فاقد القدرة لا يؤتمى سؤله ...

كلّ ما خلق آتية طائعا ... صاغرا ... خاشعا ... إلّا أنت أكشرت الجدال

لتدحض علوك وتواري ضعفك ..

ضعيف بما أنشأتني خلقا ... متحد بها بما أوزعني عقلا ... سلبي الجناح فطرت
... ما كسانيشعراء تدثرت ... أثقل مشيتي أسرعت أعطاني ما لم يعطيك ...
وخبرني اخترت أيناسيني على ما أعطاني وأوزع في ... ؟

نفضني نفضة انتفضت لها السموات والمجرات . انقلبت لها الأيام بتنازل .

عد إلى غباء الماء والثراب أزهد في الحق كما زهدت من قبل . انظر في
سجلك كفى بنفسك عليك شهيدا .

بعض صفحات السجل فتحت . ليس لحروفها الشكل الذي تعرفون ... حروف
لا يأتيها عجز أو هجا ... لا تبلى ولا تنمحي . المعنى فيها مخترق إلى داخل
الإفهام . مكشوفة تنطق بالحق .

نهيت عن الكذب فكذبت نهيت عن الباطل فجبهلت .. نهيت عن الزور فوزورت
... نهيت عن الفسق ففسقت ... نهيت عن النفاق فنافقت ...

اشتدت الشعرة واستغلظت . أطبق السجل ، أرجيت ساعة الحساب ... أقفلت
الأكوان والطباق . حدّ الجذب إلى الأسفلين .

مكثت هناك غير بعيد من قمم جبل « أم علي » مازلت على بعض الإنطلاق
في الآفاق السفلى . متحرراً من الخواص العاجزة . بعض قليل من الحياة العليا
ومزايها النشأة الأخرى أستدل بها على المكان والزمان الهوة . بقساسكم عميقة ، في
عمقها النار تشتعل في السيارة . الشعرة تجذبني لجثة على خطوات من لهب
السيارة ... ينتابني فزع ثم غيظ ... ثم كره أقول لي ... إنها أنا من قبل تلك
ملامي ... أطرافي أجزائي ... إنها جثتي بكل يقين إنها هادمة لا حراك بها .



الفنان التشكيلي : علي البطروني

تفاصيل ورموز « ممنوعة من النسيان »
بقلم : أمجد عطاء الله

كفنان تشكيلي له فلسفته ، ولريشته أسلوبها الخاص .. حيث تتجسد هذه الخصوصية في رسم الشكل الذي هو رمز الحب والجمال في أعماق الفنان، فهو في كل عمل له يعيش هم الشكل وهم المعنى .. كانسان يعتز بأناسته وتاريخه المتجذر . إنه بريشته . المعنوية بلون الحناء والكحل وقليل من وشم اللجين . ينفض الغبار عن هياكل آلامنا وأفراحنا ، لتولد من جديد .. بقلب جديد لا يعرف الجذب وإن تاه عن ينباع المحبة...

يرسم مواضيعه بعين جديدة ترى الجمال فتقدس وتتمل القبح فتعجز منه .. لا تداعب غير مواطن الجمال في تاريخنا .. جمال الشكل والمعنى . إنه فنان بارع التصميم لشوب خيط خصيصا لتقاليدنا من لمسات واعية بكل تفاصيل تراثنا المجيد واثقة من أركانه الثابتة . ليحررها برفق ويحقق لها البقاء . والإخضرار الدائمين .

الفنان التشكيلي : علي البطروني

رفع شعاره « ممنوعة من النسيان » كل التفاصيل والرموز التي بقيت يانعة رغم قساوة الزمن وتضييق الحصار عليها حتى تلاشى المكان الذي يحتويها ... هذه الرموز كانت جزءا من حياة أسلافنا الأوكرين في صراهم اليومي من أجل البقاء .. (كالسمة والعين والخمسة) ومازلنا حتى يومنا هذا نتبرك بها في جميع مناسباتنا .

1 * فالسمة : كانت لدى أسلافنا البربر والفينيقيين رمزا للخصوبة والإنجاب .

لمحة عن الفنان التشكيلي : علي البطروني

• من مواليد 8 مارس 1960

• متحصل على دبلوم الفنون التشكيلية من أكاديمية الفنون الجميلة بروما
سنة 1982

• عضو الجمعية العالمية التشكيلية بباريس وعضو باتحاد الفنانين

التشكيليين التونسيين

• عضو مؤسس لجمعية

الفنانين التشكيليين

بالحمامات ومؤسس

لرواق 33 بمدينة

الحمامات .

من مشاركاته الجماعية

• في كل من إيطاليا

أ بروما • نابولي • ميلانو

• وبيلجيكا بمدينة لياج

• وفرنسا بـسور دو رواق

R2 ورواق سمائل

بباريس 1999

• وفي تونس :

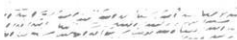
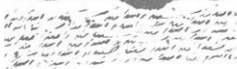
• برواق يحي للفنون

• بتياترو البلقيدار

• برواق الفن التشكيلي بتاهل

• بمهرجان السيخة - بمهرجان ربيع الفنون بالقبروان

• بمعرض اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين



2 * أمّا (الخمسة) : فهي رمز الضيافة والكرم لذلك ترسم الأبيادي بالحناء أو بدم
الذّبّانح على كلّ الأبواب لينزل الغريب في ديارهم أهلاً وسهلاً .
وللعين : معنى الوقاية من الحسد والنوايا السيئة .
كلّ هذه الرموز بجسدها الرّسام علي البطروني كالوشم على صدر اللوحة .. بريشة
تستقرئ التاريخ بحكمة المؤرخين وتسجّله بأنامل الفنانين ..
لذلك كانت جلّ أعماله المعتمدة على تقنية . Le collage . حقيقة جمع الشمل
لرموز متعدّدة ونصوص بخط بربري الشكل والمعنى وللمشاهد نظرتان :
نظرة البصر التي تتفحص الشكل فتري الجمال ، ونظرة البصيرة التي تفكر في
المعنى فتري الحبّ والإعتزاز بالإنتماء لجذور أسلافنا الضاربة في القدم .
كما جمع الفنّان أشكال الجدران المتصدّعة .. فعمد إلى الخطّ القوي الممتد ..
ليحصل على الإنفعال .. يحصل على نبضات الحياة ذاتها ... هذه الجدران .. هي
جدران الثّقة بين حاضرنا وماضينا لبعيد صلتها في شكل امرأة ممتلئة بالأثوثة
والخصوبة غايته في ذلك إعادة الحياة لمبدأ تغتاله ضوضاء هذا العصر لحظة بعد
أخرى ..
وككلّ الذين يفتخرون على هذا الوطن والأرض الطّيبية ، يحاول بريشته منح
الخصوبة والإخضرار لفكرة الإنتماء ، ومنع إجهاض أدقّ تفاصيله كي يحوّل الكثير
من المسلمات الكاذبة إلى هراء .
إنّ الفنان علي البطروني ، بهيّه في أعماله وثيقة تاريخيّة قيّمة ستضاف حتماً إلى
المؤلّفات والأدوات الشّقافيّة التي يعتمدها كلّ مؤرّخ وباحث مختصّ .. كما ستكون
النبراس الذي يرسل ضوء الحقيقة على صفحات من تراثنا كتب لها الخلود ..
فالحاضر بدون ماضيه ومستقبله لا معنى له وكما قال أحد الفلاسفة :
<< الصيرورة تنبع من الماضي لتعبر الحاضر وتصبّ في المستقبل >> .

هامش :

- * السّكة : استخدمها بعد البربر كلّ من الرّوم والبيزنطيين كرمز للخصوبة
* الخمسة : كانت ترمز ليد قاطمة الزّهراء بنت الرسول (ص) لدى أسلافنا العرب المسلمين
الذين قدموا لشمال إفريقيا .. ورمزها الوقاية من الحسد



رثائية الشعر والشعراء



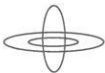
شعر :
محمد العياشي طاع الله

أراك أصيل الوجد والمجد والرؤى
أثيل الهوى والمشتكى والقوافيا
بعينيك عشق الأرض والعرض والهدى
شفيق الفؤاد لا يهاب المنافيا
أمرنا كما الأبرار برأ بعشقنا
فمولاي كن عن ولاني راضيا
رضاك جنان يأخذ القلب حسنهما
وعطفك لطف غامر لقواديسا
أنا في حماك خاشع اللب خاضع
ولي في عضاتك مطمع ليس خافيا
وليل كأن العاشقين خلاله
كواكب ترنولللعروج رواجيا
أمرنا العشائر بالرحيل وبالسرى
أضأنا سماء كان ليلها داجيا

وما كان يجدي ماتبقى لمثلنا
وطبع الأسود أن تظل ضواريا

نقرنا خفافا ما رضينا اعتسافنا
ولبنا سباعا لا نرى الموت كافيا
وكرَّ عَصِي الدَّمْع منا فنالهم
صداع العقول واستطابوا المخازيا
لنا الأرض والطيرالمغرد والمدى
وخطب المريد أن ينال المعاليا
ويغني المريدون الالى دون أن يروا
صفاء التجلي والعلا والمراقيا
رأيت قطوف الشعر يغوي عسبرها
فجروا اليها العاجزون حوافيا
ألم تر إنني سئد العناشقين فنادتني
نفائس شعري والبنى والمعاتيا
فقلولي سيف يتقبيه المنافق
بلغت المدى والمنتهى والتناهي
قطعت طريق الحبر عن كل شاعر
جبان اللسن يطلب الصفح باكيا
وأعلم أن الظالمين يسرهم
مديح اللثام والرجاء والتداهيا
نأبنا عن الواشين واشتد بأسنا
وخصنا ضرام القول شم القوافيا

على الرغم مني شبُّ في نحبيهم
 فصار غناء ما أردت بكانيما
 بكيت على هذا الزمان وأهله
 ولدت بافقي واتقيت الأعاديما
 أردت الهروب من تفاعيل بحرهم
 وعدت لذاتي أستلذّ التّصافيا
 وعثقت كأسِي من لهيب صنوفها
 وهبأت رأسي قاصيا ليس دانيما
 فبيني وبين الأولين مسافة
 وبيني وبين الآخرين فنانيما
 فنيّت مريدا لا معيدا غناء هم
 فلله دري حين أعلى غنائيميما
 يظلّ نشيد العالمين نشيدنا
 يشقّ سنده البئر والبصر شافيا
 يشعّ بنار الحق والحب والصفما
 ويشدو بمعسول الجنا والدواليما



تناسل الطرق البعيدة

شعر : حيدر مكي

العراق

أترك خلفي

من أسوار ضيقة

أنتظر العائدين

فوق أسوار الوداع

يهرب مني جيبني للضياع

فأستعيد صداقة أشياء تتسع

وتتعاقل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كزيتونة حول رئيسي

ذات يوم أسكت بلا موعد

وأترك خلفي

نافذتي بلا سؤال

أو

توقيت يدلني على صوتي

ينبغي أن أذكر سقفا مفقودا

في العراء

وبلادا تتنفس السَّلَّ

ينبغي أن أنسى

مليكة سمائي

والوطن المتكرر
أيها المبعثر

أيها المبعثر

أيها المبعثر

بين وجهك وأجنحة العصفير

أيها المحاصر ...

بين الريح والتجريد

كيف !؟

تتركني حجرا للتداول

ووجهها متروكا

وتكاثرا ...



فوق سطح القمر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أنت جداري

ومزماري النحيل

وممرات لاتصل إلى حرية الريح

وقفت على حائط جبهتي

تحسست انفجار بكارتي

والبحار التي تساء م لوني

وصراخ صوت هاجر

وشيخوخة جلدي

يطير الرماد ، فيكشف عن

وجهي

وهو يحترف الملامح

ضائعا

بين العودة إلى الحدود

ولعبة ..

الحقيقة والخنجر

ظلّ آخر ...

والصورة صوت خريف دائم

نحن...

لا ننسى نوافذ السطوح

ولا أسباب الحرب الرخيصة

أو

الوطن

المسدس

سأترك خلفي خطيئة يتلحفها صمتي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it> الزمان

الموت يمرّ

والوطن إرجوحتي

بين الخناجر والنخيل

صورة

للبلاد المنسية ،

أو

انتحار لبراءة موت

الرماد

كان عمرا أرضيا

وتحركا وتحركا

لمدن عاشقة

واحتضارا

لشارع طفولتي

وتقمصا

لظلي

في الرماد

يمتد الأفق

إلى ..

جرح رؤيتي

ومسمار الانحناء سماء نافذتي

وتقاطيع

حروف وجهي

وسببا للتراجع إلى صوت

ARCHIVE

بابس

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

المطر تساقط

والفصول دروب والانفجار

ومرة أخرى على حافة الصراخ

ينتهي مساني

في صرير لحمي

وافتراس الحدود

حببتي

بصمات خطوط زرق

ومدينة

في اتجاه قلبي

وعصافير
تتعري من عورة قضاء قادم
وجدار أطفال السلاسل
قريبا من ذاكرة الماضي
تنمو الفكرة على مشنقة
ونحن بعيدون
لنا صور ... ورصيف بلا مدن
ماذا نقول والمساء خنجر
وميناء لا يتكلم
والصور عادة لوجه القمر
والشبابيك ذاكرة لسطح الليالي القادمة
وجمع للذي يأتي
من مكان سنراه
يحتفل عاريا
ورائحة الدم في إبطيه
من مكان سنراه
يذيل كالورد بلا سبب
ويهرب من أفقي
إلى شكل سؤال
بين تاريخ البعده وذاكرة الزمن
ويفتح باب المفاجأة
حتى نمر
ونبيع أشكالا للموت
واعترافات للحب

الريح ...
وفوق على الأخضر
والليل احتراق
والبلد البعيد يريد ظلالنا
وتعلمك
البكاء القمر الحزين
الوجه البعيد تكوين للبحث
وولادة جديدة
نحن شعار لوطن سيكون
واشواق للتذكير

سيكبر الموت
وفمي طائر جائع
يستيقظ على حدود
الغد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سيكبر الموت
وتغادرنا جلود
فتحترق رياح البكاء
وتموت مرحلة
فتولد سنبله
واختباء جديد

مرة أخرى
بحذف الظل
بدلاً عني
ونوافذ المدينه

حديث عن الماضي
ورحيل إلى البحر البعيد
إلى ...
خضرة الأرض التي انتحرت
بلا سبب

نوافذ المدينة
قمر الطفولة
وغرفة

أحذية الجنود
مدخلا إلى سماء موتنا

وأطواف الياسمين
المنحوتة على

متاديلتنا

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

من داره البعيدة
مساء البريد يدفن ذاكرتي
ويعثني ...

غصنا ميتا لقبور الأصدقاء
في الضوء سجانر لشفاها
وعصافير تهاجر
خلف أسوار نافذة مهجورة
من داره البعيدة

يقيد الحلم
ليفسر صرختي
بوجه آخر

لوطن مفتت وأصدقاء يولدون
بين ألباف الشجر

من داره
يأذن بالانحناء

فوق قبور ولادتنا
لحراس جثث الليل
سيكتشف عن صدر حدود شمسنا
حينها سنعود من النهار
الى تعب الطريق

إلى الأفق وهو يرث
الغناء

من داره
يأذن بالانحناء
فوق قبور ولادتنا
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

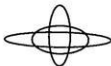
لحراس جثث الليل
سيكتشف عن صدر حدود شمسنا
حينها سنعود من النهار
إلى تعب الطريق
إلى الأفق وهو يرث
الغناء

من داره
يختبئ
لنعونا بالاغتراب
يمحو انتظارنا

وموتنا المؤقت
في مدن الأمل المفاجئ
سيرجع إلى المرايا
سيرانا
هزيمة أخرى
وأرث لريح ملامحنا
خبأة وانخط كقوس انكسار
مرّ تحت النافذة
فاحترقت
جهاز ميلادي

احترقت مساعاته
كومضة حبّ مفاجئ
وجسد ثقبتة الرغبات
وخذشته البلاد البعيدة
<http://Archivebeta.Sa>

لا تدخل ظلك
فالأرض
حقيقية تتسع
وتناسل لأسمائنا
في الطريق البعيدة



أساور

شعر : سالم سالم
- العراق -

* سألتها عن قلبي الورقي ..
قالت .. نسيته في حقيبتى القديمه !
سألتها عن وجهها المسكون بالحزن ..
قالت .. عهد مضى .. !
سألتها عن لون عينيها
قالت .. تبتكر الامواج لي لونها !
* مالذي أحرقت النهار سادنتي ..
مالذي جعل العصافير تندب الظلال
تسكن عبق أحلامنا ..
كل يوم يموت فينا حزن
ويتورّد فينا صمت .. آخر
مالذي عجّل بالأغنية
رغم نومك خلف أسوار مرجانية
* كنت معهم ..
عندما رموا بجثتي نحو قاع النهار ..
والشمس ما كانت إلا
اسمك المستعار .
* اتكأت على بريق الحمر ..
ذات مساء ..
لأكسر خاصرة الليل
وأنحو من سجن جلدي ..
الذي يبيث الذكريات ،
لأزلت بريق طعنة توجز الحياة
وأنت !

معزوفة الحزن

شعر : مصطفى أحمد النجار
- حلب سوريا -

الحزن - يا حبيبتى -
الحزن في خريطة الوجود
في سلالة الورود
في نقاة الحليب
في تشرد الشريد
* * *

الحزن - يا حبيبتى -
الحزن في الصباح في المساء
في فواصل الزمان...
في رطوبة الأكفان...
في مقاطع الفناء...
في رسائل البريد
* * *

الحزن - يا حبيبتى - صديقي
ودونه أغلق الأبواب
ألقاه في طريقي...
فأنزوى أعاتب الأحباب
* * *

الحزن - يا حبيبتى -
الحزن في أزقة المدينة
الحزن في الببوت

أغادر التابوت للبراري

لعله يموت !

والحزن في الأمانى

في رقدة السكينة

الحزن في الوريد

* * *

الحزن - يا حبيبتي - قضية القضايا

أسطورة نعيشها

تقتصنا ،

تغتالنا ،

تدعنا شظايا

لكننا .. لكننا ...

فالحزن - يا حبيبتي -

مالين القلوب من إيمانها

ولين الحديد

* * *

فلنبداً التفريد في الحريق

الحزن لا يريد أن نغني ...

والحزن لا يريد أن نطير

فلنبداً التحليق

حبيبتي

أماننا قضية القضايا

فلنبداً التفكير

لعلّ هنا - يا حبيبتي - يصير

حكاية الحكايا !



بين وقتين

شعر : آمال سफطة

بين صدرك وصدري
تجاعيد مستنقعات روحية
زهور غايات الوعي
كروم حروف الحضارات
براعم حريق ثلجي
* *

بين صدري وصدرك
صدفات فوسفورية
الواحدة إلى أختها لاهثة
زفرات عبور عقيقة [1]
دوامات وزرابيط
سلموا أو كادوا
* *

بين صدرينا
من الفراغ مسافات ضوئية
فراغ نفسك ونفسي من كل شيء وشهية
إنبثاقي وأنبثاقتك من المبدأ
مظاهر الأرض المشمسة الشتوية

[1] القران بمناسبة مولود جديد في العادات الأندلسية

عزف على مقام العشق

شعر : مختار المومني

* إلى سيدة الأعمار .. إليها وحدها

مهما عذّبني الصّدّ

لن يكسرني هجر أو بعد

فأنا يا حلوة أهواك

والعاشق للعاشق عبد

قد أنس من نفسي جهدا

أن أكسر في حضرتك قيدا

أن أنسى حبّا أرهقني

وأتلو في حضرتك وردا

لكنني سأواصل جهدي

مهما عذّبني البعد

وأظلّ أحبّك حتّى

لو كلّ العالم ينهدّ

* قصائد محاصرة *

شعر: جلال حسن
العراق.

1 - صواريخ

شظية صغيرة
وينتهي العالم
الصواريخ تمر فوق رؤوسنا
وحده جبل « حميرين »
يمسح أحزان الحصى
في هذه اللحظة
كل الكائنات مستيقظة
تنتظر سقوط الأبرياء.



2 - آلة المجيم

ما نفع صراخي
حين لا يسمعني أحد
أرى الأسئلة
تتورم
وأنا محموم يجمع أرغفة الحيز
لأبنائي
أنا « الكادود » المرغم على الكدح
توشوشني الهاوية

أشجان مهريّة

لميس العتوم

الأردن .

قاس مخاض الكتابة ، وأقسى منه مروره على الأسماع والنواظر مرور مساطحة .. وأقسى منها ، أن أمضي إليك عبرها موهلة في دجاجير سبك الكلمة المحكمة ، نائية بمفرادتها عن شغافية أصيلة في النفس ، سعيًا وراء جمرة الفكر المتأمل .

محض مسيري إليك ، مهريّة أشجاني إليك ، معترفة من خابية العمر مادة ومداد الكتابة ، نائية بها عني ، متغية وسط عالم تدور فيها الدهماء ، دوران ثيران الساقية وفق نظام إن خالفته خلّفتني وراء هائلة في غياهب العدم والعيشية ولا جدوى الكلام .

هكذا أمضي إليك في عراك مع الحياة ملء الصدر متبي إصرار على تخطي الخوف وتحيازة أملا في الوصول إلى الطمأنينة .. عراك إما أن يحقق التلاقي مع الحياة أو الإفتراق عنها ، معانقة نشوة الضياع ، مستخلصة من صراعي مع الحياة مذاق العنف بديلا عن رتابة العيش والضرر المتولد منها .

قاس إصراري للوصول إلى معنى يهني الإدراك وقد وهبته الحياة لاحيا من خلاله محققة رغبتي العارمة في الانصباغ لنداء الحلم الجميل ، صانعة منه عالمي الجميل . أهرب إليك أشجاني زاجرة في الصدر ضجة استحضارك عندي في سكونة تتبع لي أكبر قدر من العفوية والانطلاق على سجيّتي معبرة عما يعتمر في الصدر من شجن موهلة في عمق ذاتي ، وعمق ذاتك ، لسبر أغوار ذاتنا ، ومعرفة النفس باعتبارها أم الفضائل ومصدر الحبر كلّ بالنأي عنها مسافة تكفي للنظر إليها بحياديّة ، نظرة عقلانية منطقية ، فكريّة تأملية ملء الصدر حين لهذا العالم ، رغبة في الاندماج فيه ، لانمو وأكبر فيه معه ، مع الآخرين وبهم ، مستخلصة لذاتي كينونة أصوغها من الممكن المتاح وجودا تامًا ، متسائلة عن ذاتي ، عنك ، وأنت

بعض ذاتي ، تمتحنة صلابتها ، ومدى مداركي الانسانية في المعرفة ، رغم ما في
التساؤل من قسوة تجردني من الطمأنينة وتزعزع ثقتي بأصل الأشياء .

أطرح تساؤلاتي عن الحرية ، أول وأهم عوالم الكبرياء الانساني ... إلى أي
مدى يفترض أن أخرج عن المؤلف السائد عند العامة والدهماء .. ؟ إلى أي مدى
أستطيع الإيغال للوصول إلى عمق مفاهيمها ودلالاتها لأصل إلى جمرة
الحقيقة .. ؟

ما بيني وبين العالم الذي أحن إليه وأرغب في الاندماج فيه ومعده ، ألفة مفقودة
لوعي بأمور لا أملك حق أو حرية التعبير عنها .. وأراني كلما مضيت خطوة
للوصل بها اراني .. غريبة عني وعن الآخرين .

إنها الشقاوة في الوعي ، المرواحة القلقة ، حالة من البناء والهدم ، في آن معا .
الوعي دافع ومحرك داخلي للتساؤل الشائر عن كنه الأشياء ، والإستشارة الفكرية
لإعادة للمته .. وتنظيده وسياغته المرة تلو المرة ، بشكل ومعنى جديد .

وهو بالمقابل متعة فكرية غارستها بحب ، لنصيف عالمتا بالدهشة ، وحبوية عقلية

نفعل بها وجودنا ، وإلا .. فأنا في اتجاه الموت سائرون .

هكذا أمضي إليك ... إلى معرفة تلاحق سرايا ، للكشف عن الوجود ودلالاته

التعبيرية في حالة تأمل أصيل ، فلا زال في الحياة ما يستحق أن أنتضي لأجله

سيف الحلم الجميل ، لاشهره في وجوه أعداء الحياة ، ذائدة عنها .. لا زال فيها ما

يستفزني لمقارنة خطيبة الشدو عن قصد وسبق إصرار وترصد ، معطية مواجدي

فرصة استبدال لبوسها ، ولملعة غمامات الأسى ، نائرة غماماتها في فضاء الرفض

الرحب ، منحية عن البصيرة كآبائها ، للذنو من ملح غوايتك مداوية به الجراحات

... موقدة قناديل الذكرى ، مستفزة خلايا الذاكرة ، مستبينة على ضوئها الخابي ما

عمي والتبس علي من أمور ، متسائلة عن مسببات ما يعمر الاعماق من شجن ،

معلنة النفي في جمع لحظات العمر ، ماضية بها إليك ، ورسمك انعكاس إبقاء

الحياة .. في مرآة الروح بكل ما في إيقاعاتها من تناغم مستحب تشف له الروح أو

نشاز تفر منه مدمنة تهريب أشجاني مادة ، ومصدر إلهام للإبداع ، أيا كان لون هذا

الابداع .

رؤى رجل مخمور



قصة :

جمعة محمد جمعة

أحسّ بالضيق ، لم يصل إلى حلّ مشكلة تعرّض لها أحدهما ، قال له صاحبه :
- كف عن التدخين ، أكاد أختنق ..
- هيا نخرج للهواء الطلق ..
غادرا البيت ، أوغل الليل ، خيم الهدوء ، بضع أفراد قلائل يقطعون الطريق ،
بضع سيارات تجتاز الشارع في صمت ..
وأباه جالسا فوق حافة الطوار ، يتكلم ، يصمت ، يضحك ، يضرب فخذه ،
يستلقي ظهره فوق الطوار تجسّد رأسه ذراعاه ، يتخلّج إلى السماء ..
حين وقف بجوار رأسه اعتقل ضحكك ثم بدأ يغني :
- يا أبو الريش ، يا أبو الريش ، خفافيش .. خفافيش ..
سأله أحدهما وهو يسحق عقب سيجارته تحت قدمه :
- ماذا تقول ؟
- أنا أغني .. يا أبو الريش .. خفافيش .. خفافيش ..
نظر المدخن إلى صاحبه وقال :
- لقطه .. الرجل لقطه ، اجلس لسأله وتعرف أفكاره ..
جلسا ، أحدهما إلى يمينه ، الآخر إلى يساره ، سأله وهو يخرج علبة سجائره
ويعزم عليه ، رفضها الرجل :
- أنا لا أدخن .. أنا
دس يده في جيب جاكته لتخرج بزجاجة صغيرة ، فتح غطاءها ، تناول جرعة
منها ، ثم أحكم الغطاء وأعادها مكانها ..
أشعل سيجارته بينما صديقه يسأل الرجل :

.. أعندك أولاد ؟

نظرا الرجل إلى الاسفلت الأسود وهو يقول :

.. أمس ، أول أمس ، المهم ذهبت لتوصيل أصغره إلى مدرسته الجديدة ،

إعدادي ، وأنا أمشي قرب المدرسة سمعت حوارا بين رجل وامرأة ، يقول الرجل :

.. مامشاريعك هذا الموسم ؟

.. أنوي استبدال سيارتي بأخرى على الزير .. وأنت ؟

.. أفكر في إقامة بيت آخر ، مصاريفي في البيت تفتح عدة بيوت ، زوجتي تحاول

إفلاسي ..

دلفا إلى المدرسة وابني وراءهما ، أغلق الباب على التلاميذ ليتعلوا ..

قال المدخن لصديقه :

.. شيء عادي ، البعض يتغير إذا تبدل وضعه ..

رد الصديق في ضيق :

هو الجشع لا غيره ، معظم الناس لا تشبع أبدا ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم ربت كتف الرجل متسائلا :

.. ومارأيك أنت ؟

قهقه الرجل ساخرا :

.. تحاول صيده فيصطادك ، هي فتحت فمها وهو رمى لها الطعم ..

تبادل الصديقان نظرات الدهشة ، قال المدخن :

.. ألم أقل إنه لقطة ، بانوراما ..

ثم للرجل :

.. أنتظن أنهما يتزوجان ؟

تنهد الرجل وقال :

.. إيه .. يقول شاعر أيظن : « خيرتك فاختاري ، وحدي الجنة والنار » أصابتها

العنوسة وليس أمامها غيره لتختار ، فهذه الجنة وهو النار ولا أحد غيره لوانطبقت

السما على الأرض ..

وهويلوح بعقب السجارة إلى عرض الطريق قال الرجل :

.. أتدخل الألفية الثالثة بحالتك هذه ؟

تلقت الرجل حوله متسائلا :

.. أي ألفية .. ألفية ابن مالك ..

وبعد أن كف عن قهقهته وكأنه يمثل على خشبة مسرح من الوضع جالسا :

.. تدق الطبول ، في كل القبور هيا انهضوا أبها الموتى وانظروا ، ندخل لكم الماء

والنور ، والكمبيوتر والانترنت ، ونجدد الطلاء ، نقضي على اللصوص والنصابين

والقوادين ، والناموس والذباب ، والفئران والعرس ، والكلاب والققط ، ونطعمكم

الخيار والفاقوس ، والجمبرى والكابوريا ، نلبسكم الحرير ، ، ،

ويقيم الأفراح والليالي الملاح ، وكل ألفية وأنتم طبيون ..

صفق بيديه ، دق الأرض بقدميه ، أردف في بهجة :

.. خطبة عصماء ، لا يقولها ملوك ولا زعماء ، أنا وحدي زعيم الموتى والأحياء ..

قال الصديق وهو يطيح بعود الكبريت المشتعل من يد صديقه :

.. إنه مخمور ومجنون .. هيا بنا ..

أعطى الآخر ظهره لصديقه والرجل وأشعل سيجارته ، قال الرجل بلهجة غير

مألوفة :

.. الله يعطيك العافية .. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بحلقا في وجهه ، قال المدخن :

.. لماذا تقول هذا ؟

أجاب الرجل وهو يمدّ يده إلى جيبه :

.. تقبض بيد من حديد ، على الكبير والصغير ، العائل والمعول ، العامل والعاطل ،

الطيب والشرير ، الشاثر والمستكين ، ولو عدت ما انتهيت ..

أردف بعد تناول جرعة خمر :

.. كلهم يحبونني ، أنا المسؤول عنهم جميعا ، سواء رضوا أو لم يرضوا ..

وانشغل باعادة الزجاجة إلى جيبه ، عدة مرات ولا تدخل ، انجده بكامل وجهه إلى

الجيب حتى دسها فيه ، قال وهو يمسخ شفتيه بيده

.. أتعرفان حكاية الخندق ؟

قالا معا :

.. أي حكاية ؟

قال وهو يبتسم :

.. قال الخندق لرواده الجدد :

.. ماذا بحق الله تعملون هنا ؟

أجاب كبيرهم :

.. نلوذ بك من السلام العالمي ..

قال الخندق في دهشة :

.. لم تتخذقوا والحرب في كل مكان ، أنتم مجانيين ؟

رد كبيرهم :

.. نحن أعقل العقلاء ، كانت الحروب مصدر أرزاقنا ، عم السلام فاجتاحنا الفقر ..

قال الخندق ساخرا :

.. لو كنتم عقلاء فعلا ، لأدركتم أن الحياة لا تخلو من المجانين ..

ثم قهقهه عاليا وهو يضرب فخذيهما المجاورين له بقبضة يده ، تألم المدخن ، دفع

الرجل فوق على ظهره وصديقه يقول :

.. قلت لك هيا بنا ، إنه رجل مجنون فعلا ..

قام الرجل واقفا وهو يتطوح ، تقدم خطوتين نحو عرض الطريق ، ثم استدار

ليواجههما وهو يغني :

.. تسلم وتعيش يا عبد العال .. يا راجل عال العال ..

وازداد تطوحه ، خشباً أن يسقط ويصاب ، أو يندفع ليسقط تحت عجلات

سيارة ، قاما وأمسكا به كل من ذراع ، أعادهما للجلوس ، قال المدخن :

.. إنه تسليية رائعة أحسن من أي مسلسل تليفزيوني ..

ثم للرجل :

.. أنت حكيم هذا الزمان .. لكننا قولك في شرب الخمر ؟

.. هي سيدتي الجميلة ، يصعد بخارها إلى رأسي فتزهو أمامي الدنيا كلها ، أشعر

بحريتي دون قيد ، أفعل ما أشاء ولا يلومني أحد ..

وأخذ يضحك حتى دمعت عيناه ، وتصبب العرق على جبهته ، قام الصديق دهن

عقب سيجارة صديقه بحذانه قائلا :

.. هيا بنا أخشى أن نخرف مثله ..

رد الآخر :

.. إنه صاحب رؤى ، صدقني ، يخيل إليّ أنّه فيلسوف جار عليه الزمن ..

ضحك الآخر وقال :

.. رؤى مخمورة ، هل أصابتك عدوى ؟

وهو يشعل سيجارة قال :

.. لا تكن من أكلي المدمس ، فكر فيما قال من أوله لآخره ..

سار الصديقان يتهاديان مبتعدين عن المخمور ، عقب وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء :

.. لو فكرت تجد في أقواله حقائق ، وجد الحرية في الحمر ليقولها ، الحمر ضد اللجن
بعكس المخدرات تصيب متعاطيها به ..

ضحك الآخر وقال :

.. حقيقة ، تقول مثله حقيقة ، ومن لا يتعاطى هذه ولا تلك ؟

.. يبرر أقواله وأفعاله .. فهو دائماً على حق ..

ثم ضرب صدره بيده مزدحاً :

.. مثلي تماماً ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم هتف صائحا :

.. الآن استرحت ، مشكلتي هينة بالنسبة لهذا ...

توقف لسانه عن الحركة وصراخ يبدد الهدوء ، التفتا ناحيته ، وجدا الرجل
المخمور يقبض على صبية يديه ، يوقعها أرضاً ، و

هرولا نحوهما ، رفعا من كتفه ، اتهاالا عليه ركلا بالأقدام ، وصفعا على وجهه
بالأبدي ، ابتعد عنهما وهو يصيح :

.. ابنتي .. ابنتي ..

ساعدھا على النهوض ، تنتفض بين أيديھا قائلة :

.. إنه أبي .. جئت لأعيده للبيت ..

تراخت ذراعاهما ، تركاھا ، جلسا على حافة الطوار ينظران إليهما وهي تربت رأس
الرجل المخمور وتقبلھا ..

العرس

بقلم : الشاذلي الفلاح

كان يكره الرسائل التي تأتيه كل شهر من أبيه الذي يعلمه فيها بارسال مبلغ مالي يحدده هو حسب حاجيات كل شهر ، هذا المبلغ يختلف باختلاف مواسم السنة ... لكنه في هذه المرة الرسالة التي وصلته البارحة تختلف تماما عن بقية الرسائل الأخرى . في هذه المرة أعلمه أبوه بأنه خطب له ابنة عمه محمود وسيكون دفع المهر والعرس في شهر أوت .

أحسن بالخبيل يملأ وجهه فينزع العرق من جبينه ويسيل على خديه باردا وفي نفس الوقت شعر بأنه كبير وأن الأوان ليمتلك نصف دينه كسانر شبان جيله ... كان يعرف ابنة عمه صاحبة معرفة جيدة ، ربيبا معا وقضيا الطفولة الأولى والثانية معا ، لم يعد يذكر الكثير من تلك المرحلة لكنه بقي يذكر كيف كان يلعبان لعبتهما المفضلة ، لعبة العرس ، كان هو دائما العريس وكانت هي دائما العروسة فيمرحان مرحا يفوح برائحة الطفولة الساحرة وبراءة الأطفال السعداء ... بقي يذكر بالكاد يوم ختانه في الرابعة من عمره حين ألبيسته أمه جبته الصغيرة وطربوشه الأحمر الصغير وبلغته البهضاء الصغيرة . كان يصرخ بأعلى صوته وسط الحوش الذي يعج بالخلق :

.. مانحبش نطهر ! ما نجبش فصالة كيف بنت عمي صاحبة .
فيضحك من في الحوش ضحكا عاليا وتحاول الأم أن تسكته في خجل مبتسمة مرة ، باكية بكاء الفرح مرة أخرى ، تحمله على كتفها حيثما ذهبت ، أحيانا تحسن بأظافره تغوص في وجهها وفي رقبتها فتترك فيها أثرا شديد الاحمرار بالوشم .
لم يشعر بالزمن الذي مر سريعا بالرغم من أن السنوات الأخيرة التي قضاها صانع عطار بالكاف كانت مرة كالعلقم ، فيها تعلم مهنة التجارة بعد أن غادر المدرسة في سن مبكرة ، وفيها ذاق طعم الغربة والعذاب . سنوات كثيرة مرت لم يعد فيها إلى قريته النائية بأقصى الجنوب إلا مرة واحدة حين توفي خاله .

صورة صالحة لم تعد واضحة لديه ، تركها طفلة صغيرة لكنها الآن تجاوزت سن البلوغ ولا شك أن أشياء كثيرة فيها قد تغيرت وعرف جسمها تحولات صارخة مثيرة . حاول أن يستعيد صورتها أمام عينيه فهدت غامضة الملامح ، بقي يذكر بصعوبة شعرها الأسود وعينيها السوداوين وبشرتها البيضاء ، لا شك أنها الآن قد طالت قامتها وتكور نهداها قليلا واكتنز بدنها .

ود لو يرى صورتها لكن كيف له ذلك ؟ هل يجرؤ على أن يطلب من أبيه أن يرسل إليه صورتها ، أمر مستحيل ، الصمت أفضل من طلب خطير كهذا ، العادات في القرية ما تزال مهيمنة ومهما بعد الانسان عنها تبقى تلاحقه ، تكبله كلما أراد الحياذ عنها ...

ما أجمل أن تكون صورتها بجيبه تؤانسه ، تؤنسه وتنسيه قليلا من مرارة الغربة ، ينظر فيها كلما أحس بالوحشة تضيق عليه الخناق ، يضعها على صدره حين يستولي عليه ظلام الحانوت وحين تتوالى الهواجس والهوسات أمامه ..

في القرية نشأت صالحة نشأة قروية بسيطة ، كبرت على أرض مكدا . تضمن بمحصولاتها على أهلها ، وربيت وسط عائلة كبيرة . كان فيها الجد سليمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في يده السلطة المطلقة وعلى لسانه الكلمة الأخيرة .

النافذة الوحيدة التي تجد فيها صالحة حريتها هي موسم الحصاد حين تخرج إلى الحقل . هناك يلتقي الشبان والشابات ببعضهم البعض فيعملون وفي الآن نفسه يتغامزون ويتحدثون في مواضيع كثيرة تهمهم وقد لا تهمهم .

لهم لغتهم الخاصة بهم ، وألغازهم الخاصة ونواديرهم الخاصة ، تخجل الفتيات وتحمر وجناتهن حين تكون النادرة « خضراء » وكلماتها مفعمة بالمعاني الجافة .

علي هو أكثر الشبان قدرة على مثل هذه النوادر ، فحل في عتوان الشباب ، غليظ الحاجبين واسع العينين طويل القامة غزير الشعر عريض الجبهة غليظ الشفتين ، لم يترك فتاة من فتيات القرية لم يستفزها ولم يعترض سبيلها كلما سنحت الفرصة لذلك ، لذلك كان يخشاه الكبار خوفا على بناتهم وحرصا على سلامة القرية من كل أذى ، ويخشاه الصغار خوفا من بطشه لوعلم أن أحدهم وشى به وهو يراه يغازل إحدى الشابات في مكان ما من أرض القرية الواسعة .

راود صالحة كم من مرة وهي عائدة إلى الحوش ، أزعجها ذات مساء حتى كادت يغشى عليها حين توقفت أمامها كصاري المركب وأراها فجأة عورته ، انطلقت كالمنونة تجري ، تصرخ في صمت .
سألته أمها :

ـ ما بك ؟ ماذا حصل ؟ لم كل هذا الارتباك ؟ أجبتها بسرعة :
ـ بغل عمي اعترض سبيلي هاربا ، فاجأني وأنا عائدة وحدي بعد أن أعطيت الدواب علفها . كنت صالحة السر إلى الأبد ، بقي دفيننا بينها وبين نفسها لم تبح به إلى أحد ، لكن المشهد بقي عالقا بذاكرتها كأنها رأتة أمس كلما تذكرته ارتج بدنها وسرى في عروقها خوف يضغط على صدرها ويعطل حركتها ويمنعها من التفكير .

شاع خبر الخطبة و العرس وعم أرجاء القرية والقرى المجاورة

همس الشبان إلى بعضهم البعض :

ـ دبرها صالح ، ملّة شحمة !!

وهمست الشابات :

ـ سعدها كبير !

ARCHIVE

<http://Archivebeja.Sakhyt.com>

اغتم « مبروك » يوم تأكد من أن الخبر صحيح ، مبروك من أطيب الشبان بالقرية وأكثرهم خجلا ، كان لفرط الحشمة غير قادر على أن ينظر في وجه فتاة تمر من أمامه سرعان ما يعتريه إحساس بالحجل فيحمر وجهه ويقف شعره ، كان يشعر نحو صالحة بحبة خاصة لأنها الوحيدة التي لم تزق في وجهه أبدا ، كان يلبي طلباتها مهما صعبت وحين سلمته رسالتها الأولى إلى صالح ليضعها في صندوق البريد طار فرحا وحزن في نفس الوقت ، وعدها بأن يبقى السر دفيننا في قلبه ، هو يؤمن « بالكتوب » والحظ لكنه مدرك أيضا لوضعه الاجتماعي ، هو بطال لا يعمل إلا نادرا ، وإن عمل فالأعمال التي يقوم بها لا ترضي عائلة صالحة ولا صالحة نفسها ، يجز الشباه أو يتسلق النخل في مواسم البلح أو يحفر الماويل ، كلها أعمال شاقة لا تغني عن جوع .

أما علي فقد أزعجه الخبر ، ظل صامتا أياما لا يكلم أحدا ، مهموما مغموما

... انفجر يوما كالبركان ، زعق في وجه صالحة :

ما لقيت تأخذ كان صالِح المِخْنان !!

وصلها ذات يوم خبر من خطيبها ، قبل لها إنَّه صار رجلا ، ابيضَّت بشرته ولانت ، لمعت ناصيته وسرى دم المدينة في جسمه وامحَّت البقع السوداء والصفراء من وجهه وانتزع « الغريوز » من عينيه ومن خياشيم أنفه ..

هواء جبال الكاف وثلجها الشتوي جعلاً منه شخصا مختلفا عما كان ، أصبح بعيدا عن لفح الصحراء وسمومها ، يقضي أكثر وقته داخل الحانوت تحيط به السَّلَع من كلِّ جانب وتفوح رائحة التوابل من كل ركن ، الإحساس بالشبع أبعد عنه فقر القرية وجوع أهلها .

بعض الكلمتِرات فقط أصبحت تفصله عن تونس العاصمة ، صار يفكر بجذ في العمل هناك شريكا مع أحد التجَّار الكبار ، تستعد صالحة يومئذ وستكون فعلا محظوظة ، ستترك ناعجا ومعيضا وبقرتها وخمارها ودجاجاتها لتلتحق بالعاصمة حيث يسكن أكثر أعمامها وأخوالها منذ سنين .

اختفت صالحة عن الأنظار فجأة واختفت معها أنوثتها التي كانت قِلا للقرية وأقبلت النساء يهنئن أمها « بالحاجة » ، ستبقى صالحة شهرا كاملا داخل بيت مظلم بعيدة عن حرِّ الشمس الحارقة ولفح الرياح الحارة ، بعيدة عن أعين شبَّان القرية .

ستخرج بعد شهر عروسا بعد أن اكتنز جسمها لحما وشحما وصارت طرية طازجة ، لمسا ناعمة وستفتح يومها النساء والشابات أفواههنَّ إعجابا بجمالها النادر وستبهاي أمها وعمَّاتها وخالاتها مزهوات بهذه الدرَّة الفريدة وسيجد فيها صالِح ما يتمناه كلُّ شابِّ ليلة « الدُّخلة » حين يجد نفسه معها في خلوة وقد براها الاله كأحسن ماتكون من النساء ، ترقص رقصة الفراشة وتضوع من بدنِها رائحة الأثوثة الصارخة .

دلف صالح عند الفجر يحمل حقائبه الثقيلة المفعمة بالأسرار ، انطلقت سيارة الأجرة مولولة تمتصُّ الزَّمن استصاحا ، لم يتفطن سائقها إلى القطار الطويل الذي مرَّ أمامه كالصَّاروخ ، تفجَّر الحديد وطار شظاياا مشتعلة وتدْفَقَت الدِّماء على الاسفلت الأسود كالأودية ، ولولا عبث الحياة الذي أنجى صالِحا بأعجوبة وأودى بالآخرين لِاتقلب العرس إلى مأتم .